الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

علاقة منطقة وادي مزاب بسلطة إيالة الجزائر العثمانية خلال الفترة الحديثة ﴿1519/1830﴾

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبين:

اسماوي صالح

بوشن زكرياء

إشراف:

أ.د ناصر بالحاج

أ.د ناصر بالحاج	مشرفا ومقررا
أ. بوبكر محمد السعيد	رئيسا
د(ة). حوتية فاطمة الزهراء	مناقشا

الموسم الجامعي: 1442هـ-1443هـ/2021م-2022م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

علاقة منطقة وادي مزاب بسلطة إيالة الجزائر العثمانية خلال الفترة الحديثة ﴿1519/1830﴾

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبين:

اسماوي صالح

بوشن زكرياء

إشراف:

أ.د ناصر بالحاج

أ.د ناصر بالحاج	مشرفا ومقررا
أ. بوبكر محمد السعيد	رئيسا
د(ة). حوتية فاطمة الزهراء	مناقشا

الموسم الجامعي: 1442هـ-1443هـ/2021م-2022م

قال الله تعالى في محكم تنزيله بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ سورة البقرة: 126.

إهداء

نحمد الله عز وجل أن وفقنا في إتمام هذا البحث العلمي، والذي نرجوا منه الصحة والعافية والعزيمة والسداد

هاقد وصلت رحلتي في التدرج إلى نهايتها بعد جهد وتعب

وها أنا ذا أختم مع زميلي صالح بحث تخرجي بكل همة ونشاط

وأمتنُّ لكل من كان له فضل في مسيرتي، وساعدني ولو باليسير

إلى روح جدي رحمه الله وجدتي الكريمة أطال الله أنفاسها، أبواي الكريمان اللذان صبرا معي وساندا ني طيلة مسيرتي الدراسية..

أساتذتي المبجلين من أول مراحل تعليمي إلى هذه اللحظة، إخواني أخواتي أصدقائي وكل من كان له دور من قريب أو بعيد..

أهديكم بحث تخرجي..

زكرياء بن داود بن صالح بوشز

إهداء

إلى من سهر على تربيتي وتنشئتي، إلى أعظم مخلوق على قلبي، أمي الحبيبة، إلى الروح الطاهرة والنفس المطمئنة والدي رحمات ربي عليه، إلى عائلتي الرائعة المتواضعة إخوانا و أخوات كل واحد باسمه، إلى عائلتي الكبيرة أعماما وأخوالا، إلى كل أصدقائي الأوفياء، إلى كل من كان له بصمة طيبة وذكرى جميلة في حياتي، إلى كل طالب مجد ومجتهد، إلى كل باحث عن الحقيقة ناشرا لها ساعيا في ذلك نيل رضى الله تعالى، إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع.

أ. صابع

شكر وعرفان وامتنان

نحمد الله العلي القدير أولا وآخرا ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ الحمد لله الذي وهبنا التوفيق والسداد ومنحنا القوة والنشاط وأعاننا على إتمام هذا العمل بعد جهد جهيد وتعب شديد، فالحمد لله على كل حال.

نحمل أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والعرفان والإخلاص لكل من ساعدنا وساهم في إنجاح هذا العمل، وعلى رأسهم المشرف القدير الأستاذ الدكتور بالحاج ناصر، نسأل الله له التوفيق والسداد في مشواره، والذي وجدنا منه كل الدعم والتشجيع والإخلاص، والدكتور القدير محمد بوسعدة الذي لم يبخل علينا بما عنده من معلومات ومصادر ومراجع، والأستاذ بشير بن صالح بوسنان، والأستاذ عبد الفتاح عمي سعيد، وغيرهم من المحسنين المجدين، وإلى مكتبتي الشيخ عمي سعيد وجمعية الشيخ أبي إسحاق لخدمة التراث بغرداية، ودار إروان بتجنينت، ومعهد الحياة بالقرارة، ومركز "تدارت ن اوعزام تامتلت" التي فتحت لنا أبوابها للاعتكاف عدة مرات في سبيل إنجاز هذا العمل، وكل من ساهم من قريب أو بعيد ولو باليسير.

إليكم تشكراتنا الخالصة

ثبت المختصرات:

ت:	توفي
تح:	تحقيق
تق:	تقديم
تع:	تعليق
مخ:	مخطوط
ج:	جزء
ص:	صفحة
ط:	طبعة
م:	ميلادي
هـ:	هجري
ع:	عدد المجلة
د.ط:	دون طبعة
د.س:	دون سنة النشر
د.ت:	دون تاريخ
ش.و.ن.ت:	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
م.و.م.ت:	المدرسة الوطنية المتعددة التقنيات
ش.و.إ.ت:	الشركة الوطنية للإنتاج والتوزيع

المقدمة

منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي وبعض القوى الأوروبية آنذاك تحاول فرض سيطرتها على مناطق في إفريقيا، ومنها إسبانيا التي وضعت أقدامها على سواحل شمال إفريقيا وفيها كل من الجزائر والمغرب الأقصى وتونس وطرابلس الغرب، مستغلة بذلك ضعف الدويلات الحاكمة آنذاك خاصة الحفصيين والزيانيين، واستطاعت بذلك فرض سيطرتها على بعض المدن الساحلية كبجاية وطرابلس الغرب، ومع كل هذه الأحداث المتسارعة يظهر في الطرف الآخر أربعة إخوة من العنصر التركي تمكنوا من صد هجمات المسيحيين وتحرير بعض المناطق المحتلة، وهذا بعد استنجاد الأهالي بهم، وهؤلاء البحارة هم عروج وخير الدين وإسحاق وإلياس، وتمكن خير الدين بالاتفاق مع الأهالي في الجزائر بإلحاق البلد بالدولة العثمانية.

فبعد موافقة السلطة العثمانية ضم الجزائر تحت لوائها سنة 1519م، تحددت معالم دولة إسلامية جديدة فيها، استمر حكمها لقرون في منطقة البحر الأبيض المتوسط، عاصمتها مدينة الجزائر، هذه المدينة التي تميزت بوجود خليط من الأجناس والأعراق الوافدين، من خارج الجزائر كالأتراك والأعلاج والأسرى المسيحيين، ومن داخلها كالجيجليين والأغواطيين والمزابيين والبسكريين، وكذا سكانها الأصليين من القبائل وغيرها، كلها ساهمت في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فبذلك شهدت المدينة ازدهارا كبيرا في شتى المجالات، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية.

أما عن المدن الداخلية والصحراوية فإنها التحقت بركب الدولة العثمانية تدريجيا مع دخول العثمانيين إلى الداخل الجزائري واعترفت بهم، ومن بين هذه المدن والأقاليم إقليم مزاب، والذي هو محل دراستنا هذه، والموسومة بـ: علاقة منطقة وادي مزاب بسلطة إيالة الجزائر العثمانية خلال الفترة الحديثة 1519م-1830م.

وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نسلّط الضوء على وادي مزاب ومدنه السبعة وهيكلته ونظمه، والاتفاقات والمراسلات والمعاهدات المبرمة بين مجلس واد مزاب الأعلى الممثل الأكبر لمدن واد مزاب والمجالس المحلية للمدن، مع السلطة العثمانية، وكذا طائفة بني مزاب في مدينة الجزائر، وإبراز مساهماتهم العسكرية والاقتصادية، بالتنسيق مع الحكام العثمانيين، والمنافع التي تحصلوا عليها من خلالها، حيث رسمت الطريق لعلاقة وطيدة تواصلت طوال العهد العثماني في الجزائر.

بالنسبة للإطار الزماني فق حددناه بدخول الجزائر تحت سقف الدولة العثمانية سنة 1519، إلى سقوط العاصمة وتوقيع معاهدة الاستسلام من طرف الداي حسين مع قائد الحملة الفرنسية على الجزائر الكونت دي بورمون سنة 1830، وهذا باعتبار أن المزابيين كانت لهم علاقة مع خير الدين منذ 1518، وسبقت لهم علاقات مع أخيه عروج في تونس –وقد ذكرناها في بحثنا–، لكن تركيزنا على تاريخ التحاق الجزائر بممتلكات الدولة العثمانية، هو لاعتمادنا الفترة الرسمية.

تحديد هذه الفترة الكبيرة "أربعة قرون"، نظرا لما في المادة المصدرية –وهي الوثائق– من شح ونقص، وكذا لإخراج دراسة كاملة من شتى الجوانب غير منقوصة، ضف إلى ذلك استمرار المراسلات بين السلطة العثمانية ومنطقة مزاب طوال كل هذه الفترة.

الإطار المكاني للموضوع: منطقة واد مزاب وبالتحديد المدن السبعة، إضافة إلى مدن الشمال (الجزائر– قسنطينة..) بحكم تواجد المزابيين فيها، كما كانت لهم مساهمات معتبرة في تلك المدن مهدت الطريق للعلاقات بين واد مزاب وسلطة الإيالة.

ومن جملة الأهداف التي نصبوا إليها من خلال هذه الدراسة:

- دوافع هجرة بني مزاب من بلاد الشبكة إلى الشمال، وتركيزهم على مدينة الجزائر.
- الوقوف على طبيعة العلاقة التي كانت تربط السلطة العثمانية بالسلطة العرفية بمزاب.
- الاطلاع على الوثائق (المنشورة وغير المنشورة) بين الطرفين، التي تخص الفترة المدروسة.
- تعتبر هذه الدراسة أول دراسة أكاديمية في الموضوع لذلك سنحاول إبراز جوانبه المهمة.
- محاولة إبراز الدور السياسي الذي لعبته الطائفة إلى جانب الحكام العثمانيين.
- دور علاقة طائفة بني مزاب بالجزائر مع السلطة العثمانية في رسم العلاقة الاقتصادية والسياسية بالمنطقة.
- تعريف السلطة التشريعية "العرفية" في المنطقة والتي كانت تقوم بالتواصل مع السلطة العثمانية.

الإشكالية الأساسية للموضوع هي:

كيف بدأت العلاقة بين الطرفين؟ وماهي أهم الوثائق الموجودة في إطار هذه العلاقة، سياسيا واقتصاديا وعسكريا؟ وماذا تمثل السلطة العثمانية في الجزائر بالنسبة للمزابيين؟ وكيف كانت علاقة السلطة العثمانية مع السلطة العرفية بالمنطقة؟ وكيف لدولة مترامية الأطراف كالدولة العثمانية أن تمنح ثقتها وتخضع لمطالب فئة صغيرة في المجتمع الجزائري، وتتواصل مع سلطة محلية عرفية صحراوية؟

ومن هذه الإشكالية تتفرع عدة إشكاليات جزئية، وهي:

- من هم المزابيون؟ وماهي أسباب تواجدهم بمدينة الجزائر؟
- ما هو موقع طائفة بني مزاب في المجتمع المدني بالجزائر؟ وفيما تمثلت مشاركاتهم السياسية والعسكرية والاقتصادية خلال الحكم العثماني داخل الجزائر وخارجها (تونس)، وما الامتيازات التي قُدّمت لهم جزاء جهودهم؟
- كيف أثّرت طائفة بني مزاب في الجزائر على علاقة السلطة العثمانية بسلطة المنطقة؟
- كيف استفاد المزابيون من الامتيازات التي منحت لهم من طرف السلطة العثمانية؟
- من هي السلطة المحلية الممثّلة للمزابيين داخل مزاب وخارجها؟
- ماهي الاتفاقات التي كانتَ بين الطرفين؟
- هل هناك معاهدة حماية بين مزاب والسلطة العثمانية كالتي عقدها المزابيون مع فرنسا؟

المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الذي سنسرد من خلاله وقائع الموضوع، والوصفي والتحليلي اللذان استعملناهما في استقراء الوثائق التاريخية.

الخطة المتبعة في هذه الدراسة كانت على النحو الآتي:

بدأنا مذكرتنا هذه بعرض لعناصر البحث وإشكاليته والإطار الزماني والمكاني من خلال المقدمة. بعد ذلك يأتي الفصل الأول بعنوان: التنظيم السياسي والاجتماعي في مزاب، وينقسم إلى ثلاث مباحث:

- المبحث الأول: مزاب بشريا وجغرافيا.
- المبحث الثاني: الأنظمة والأعراف والسلطة المسيرة لها.
- المبحث الثالث: المزابيون في الشمال، وعلاقاتهم بالسلطة العثمانية.

بعد ذلك يليه الفصل الثاني والذي بعنوان: العلاقات السياسية بين مزاب والسلطة العثمانية، ويتمثل في المباحث الآتية:

- المبحث الأول: مجلس واد مزاب الأعلى والسلطة العثمانية.
- المبحث الثاني: حملة يحي آغا على مزاب.
- المبحث الثالث: قضية صالح باي قسنطينة.

ثم الفصل الثالث والأخير، وسميناه كالآتي: العلاقات الاقتصادية والتجارية بين مزاب والسلطة العثمانية، بمبحثين هما:

- المبحث الأول: الدور الاقتصادي للمزابيين بمدينة الجزائر.
- المبحث الثاني: تجارة القوافل والعملة .

ثم اختتم البحث ببعض الاستنتاجات، والتي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، وقد أُدرجت في الخاتمة.

إن اختيارنا لموضوع **علاقة منطقة وادي مزاب بسلطة إيالة الجزائر العثمانية خلال الفترة الحديثة 1519م–1830م** يعود للأسباب الآتية:

- ✓ الميل والشغف لمعرفة ودراسة المواضيع السياسية والاقتصادية الخاصة بمنطقة وادي مزاب.
- ✓ سد ثغرة من ثغرات التاريخ المزابي وتاريخ المنطقة وتاريخ الجزائر ككل.
- ✓ غياب الدراسات الأكاديمية المختصة في هذا الموضوع، وأغلب التي تحوم حوله تعطي الأهمية الكبرى للمزابيين في عاصمة الإيالة.

- ✓ بما أننا أبناء المنطقة فإن لدينا شوق لمعرفة الفترات والمراحل التاريخية التي مرت عليها منطقتنا، وما كان فيها من أحداث مهمة، باستنطاق الأرشيف واستخراج الحقائق، وتقديمها للقراء والباحثين والمهتمين.
- ✓ وجود وثائق أرشيفية (محلية وأجنبية) مهمة حول المنطقة في الفترة الحديثة لم تَدرس من قبل، فكان لزاما علينا كباحثين مبتدئين التعرض لهذه الوثائق والاستفادة منها وتوظيفها بالشكل المطلوب.
- ✓ توفر المادة المصدرية للموضوع وخاصة من الوثائق التاريخية، التي تزيده قيمة وأهمية.
- ✓ الفضل في توجيهنا لاختيار هذا الموضوع يعود للأستاذ الدكتور القدير بالحاج ناصر، وهو المشرف عليه في نفس الوقت.

وأما عن الدراسات السابقة فقد وجدنا ما يلي:

- رسالة دكتوراه للدكتور ناصر بالحاج: النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة (القرن 09هـ-13هـ) – (15م-19م)، والتي نوقشت سنة 2014م، تحدّث فيها عن هيكلة السلطة (التشريعية – التنفيذية – القضائية) بالمنطقة وكيفية سيرها ودورها في الحفاظ على استقرار المنطقة.
- رسالة ماجيستر لمحمد وقاد بعنوان: جماعة بني مزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية (1700م- 1830)، والتي نوقشت سنة 2010م،حيث شملت كل النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لبني مزاب بمدينة الجزائر.
- مذكرة لنيل شهادة الماستر لعمر بوكرموش تحت عنوان: التفاعل السياسي والإقتصادي لطائفة بني مزاب بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، والتي نوقشت سنة 2015م، حيث تحدثت عن أصل المزابيين وأسباب هجرتهم إلى مدن الشمال، وعن طائفة بني مزاب بالجزائر ومساهمتهم في الجانب السياسي والاقتصادي في الفترة الحديثة.

وعن المادة الأرشيفية، فقد اعتمدنا على عدد من الوثائق، منها:

- اتفاقات وقوانين ومحاضر جلسات المجلس الأعلى لواد مزاب ومجالس المدن، أفادتنا في معرفة طريقة عملها، والمواضيع التي تطرحها، واللغة والأسلوب الذي تستعمله في مخاطبة المعنيين، ومنه نأخذ الكثير من المعاني حول قوة هذه المجالس ومدى تحكمها.
- رسائل المجلس الأعلى لواد مزاب إلى السلطة العثمانية في شأن صالح باي قسنطينة، عبارة عن ثلاث رسائل كتبت من طرف المجلس الأعلى لواد مزاب إلى الداي حسن الدولاتلي، وكاتبها الشيخ ابراهيم بن بحمان، استفدنا منها بشكل كبير في توثيق العلاقات المزابية العثمانية، إضافة إلى طريقة تصرف المجلس الأعلى لواد مزاب في الأزمات.
- رسالة إلى القائد التركي يحي آغا، حيث قدّمت لنا تفاصيل مهمة حول المحلة الأولى على منطقة واد مزاب، كذا معلومات حول كاتب الرسالة بشكل ضمني، وقائد المحلة، كما وضّحت لنا أهدافها المباشرة وغير المباشرة.
- رسالة المجلس إلى الداي علي لطلب إنصاف المزابيين في الشمال الذين يتعرضون للمضايقات في المساجد، ومنها أخذنا مدى علاقة مزابيو الشمال بواد مزاب وتدخل المجلس الأعلى لحل مشاكلهم.

وعن أهم المصادر العربية التي لها علاقة بالموضوع:

- كتاب قانون الأسواق لكاتبه عبد الله الشويهد، تناول فيه أهم المعاملات اليومية والتعليمات المتعلقة بسوق مدينة الجزائر باعتباره متولي السوق خلال القرن 17م، أفادنا هذا الكتاب في معرفة المهن التي كان بنو مزاب يحتكرونها، ودورهم الاقتصادي بمدينة الجزائر.
- كتاب المرآة لعثمان بن حمدان خوجة، حيث يعتبر من بين المؤرخين الذين عاشوا في أواخر الحكم العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، حيث تحدث عن طباع البربر وعاداتهم وحكومة الأتراك وتنظيمها، كما سلّط الضوء على أهم الأحداث التي عاشها، وما ذكره عن دور بني مزاب في صد تمرد الكراغلة.

- كتاب مذكرات القنصل الأمريكي وليام شالر، حيث يعرض فيه العلاقات الأمريكية الجزائرية بعد 1776م، استفدنا منه في التعرف على خصائص منطقة وادي مزاب إضافة إلى دورهم في مدينة الجزائر.

أما عن أهم المصادر الأجنبية، نذكر منها:

- Charles Amat Le M'zab et les mozabites.
- Milliot. L, & Giacobetti. A, Recueil de délibérations des Djemaa du M'zab.

استفدنا منها في معرفة المنح التي قدّمها حكام الجزائر إلى طائفة بني مزاب في العاصمة، وكذا دورهم الاقتصادي فيها. وكذلك بعض الاتفاقات الخاصة بمجلس واد مزاب، وغيرها.

ولا يمكن لأي عمل أن يخلوا من الصعوبات والتحديات، فمن بين الصعوبات التي واجهتنا غياب المصادر المحلية التي تتحدث عن المنطقة خلال كامل الفترة الحديثة، وصعوبة التعامل مع بعض الوثائق الأرشيفية في محاولة استنطاقها واستخراج المعلومات منها.

الفصل الأول: التنظيم السياسي والاجتماعي في مزاب

المبحث الأول: مزاب بشريا وجغرافيا.

المبحث الثاني: الأنظمة والأعراف والسلطة المسيرة لها.

المبحث الثالث: المزابيون في الشمال، وعلاقاتهم بالسلطة العثمانية.

المبحث الأول: مزاب بشريا وجغرافيا

تذكر جل المصادر التاريخية أن الإنسان القديم كثيرا ما كان يعيش حياة الترحال والتنقل ثم الاستقرار على حسب الظروف الملائمة له، كذلك كان الحال بالنسبة لبني مزاب، حيث سكنوا منطقة وادي مزاب وتأقلموا مع الطبيعة القاسية رغم صعوبتها، كما استطاعوا تطوير حياتهم الاجتماعية والعمرانية بفضل إرادتهم، والمجهودات المبذولة على مر العهود والأجيال، وتكتسي دراسة تشكل مدن مزاب أهمية كبيرة جدا، نظرا لما تكشفه من تطور أو بالأحرى تحول اجتماعي وسياسي، خاصة خلال العهد الوسيط وبداية العهد الحديث. فما هي أصول المزابيين؟ وكيف تأسست قرى وادي مزاب ومتى كان ذلك ؟ وكيف هي طبيعة منطقة وادي مزاب؟

أولا: مزاب بشريا

تحدث علماء الأنساب كثيرا عن أصل الشعوب وأنسابهم، حيث اعتبروا أن العامل التاريخي والزمني ساهم في إدماج الشعوب مع بعضها البعض وذلك ما سبب صعوبة في معرفة أصل الشعوب.

يرى المؤرخ ابن خلدون أن بني مزاب يتفرعون من بادين مع إخوانهم بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو زردال، فيقول: "وسكانها لهذا العهد شعوب بادين من بني عبد الواد وبني توجين وبني مصاب وبني زردال فيمن انضاف إليهم من شعوب زناتة وإن كانت شهرتها خاصة بمصاب"[1]. ويعتبر ابن خلدون المؤرخ الوحيد الذي ذكر أصلهم بالتفصيل الدقيق[2].

تتواجد في منطقة وادي مزاب مخلفات أثرية تشهد على أن الحضارات تعاقبت عليها عبر مختلف العصور والتي نسردها بالترتيب:

1. عصور ما قبل التاريخ

عرفت منطقة وادي مزاب عدة محطات لما قبل التاريخ، تشتمل على صناعات حجرية ولقى أثرية، ترجع إلى العصر الحجري القديم والأوسط والأعلى وإلى العصر الحجري الحديث. وإلى جانب

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت 2000م، ج7، ص 80.

[2] إبراهيم بحاز، المزابيون المعتزلة قراءة جديدة لنصوص قديمة، مجلة الحياة، ع 1، جمعية التراث،غرداية، 1998م، ص 124.

الصناعات الحجرية واللقى الأثرية، توجد على ضفاف وادي مزاب نقوش صخرية كثيرة[1] مثل منطقة أوخيرة بالعطف، مومو ببني يزقن، قصر بابا السعد بغرداية[2]، شعاب لعذيرة.

2. فجر التاريخ والعصور القديمة

إن عصور فجر التاريخ والفترات المسماة بالليبية والبونية والفترات التي تلتها من الاحتلال الثلاثي لشمال إفريقيا (الرومان- الوندال- البيزنطيين) تكاد تكون مجهولة بمنطقة واد مزاب، لولا بعض الإشارات القليلة جدّا وردت لدى باحثين أجانب، مضمونها وجود شعوب إفريقية يطلق عليها اسم الجيتول أو الإثيوبيون، كانوا يرتادون هذه المناطق بعيدا عن السلطة الرسمية بالشمال[3].

3. الفترة الإسلامية

قمنا بتقسيمها إلى فترتين، تمتد الفترة الأولى من بداية الفتوحات الإسلامية إلى مطلع القرن 5هـ/11م، الفترة الثانية من مطلع القرن 5هـ/11م إلى نهاية القرن 9هـ/15م.

أ. الفترة الأولى

تعتبر منطقة مزاب في هذه الفترة منطقة نائية ومعزولة[4]، وما يتم تداوله من تاريخ هذه الفترة مجرد روايات شفوية تناقلتها الذاكرة الشعبية جيلا بعد جيل، وربما تكون بعيدة عن الواقع التاريخي، حيث لم تذكر المصادر العربية التاريخية والجغرافية أي شيء عن المنطقة[5].

تذكر بعض الروايات أنّ بني مصعب[1] وهم بطن من بطون قبيلة زناته كانت تعيش حياة الحل والترحال، اعتنقت الإسلام على مذهب الواصلية[2]، وكانت تتخذ من منطقة واد مزاب مجالا للرعي،

---

[1] يحي بوراس، العمارة الدفاعية في منطقة واد مزاب (نموذج قصر بن يزقن) من القرن 10-16هـ/13-19م دراسة وصفية تحليلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2002، ص05.

[2] يحي بن بهون الحاج امحمد، فن العمارة الإسلامية بواد مزاب جنوب الجزائر ،مجلة الحياة، ع 19، جمعية التراث، 2015، ص90.

[3] يحي بوراس، العمارة الدفاعية..، المرجع السابق، ص05

[4] J.Huguet. Le M'zab d'après les géographes et les voyageur , Compte Rendu du XXe Congrès des Sociétés de géographie ,1898, Alger, pp. 281-290.

[5] يحي بوراس، العمارة الدفاعية..، المرجع السابق، ص06.

وتنصب الخيام على ضفاف الوادي مشكلة أحياء متفرقة، ثم ما لبثت أن قامت ببناء بعض القرى والمداشر على بعض التلال والرُّبى[3]، احتماء من فيضانات السيل. وقد أشار إليها المؤرخ يحي بن خلدون حيث تحدث عن شعوب بني عبد الواد، فذكر أنّهم: "بادية أهل الوبر، استوطنوا الصحراء ينتجعون مراعيها من سجلماسة إلى زاب إفريقية، وبجبل مصاب اليوم منهم بقايا أهل مدر"[4].

ولكي نلقي الضوء أكثر على هذه الفترة يجب علينا كباحثين وضع دراسة تحليلية لها، حيث تعتبر الفترة التي سبقت ظهور مدن مزاب الحالية. علما أنها مواقع منسية تتعرض إلى التلف المستمر، مع غياب شبه تام لمراقبة المصالح المختصة[5].

ب. الفترة الثانية

تذكر العديد من المصادر المحلية والأجنبية أن فترة العهد الوسيط وبداية العهد الحديث (من نهاية ق 5هـ/11م إلى نهاية ق9هـ/ 15م) شهدت ظهور القصور الحالية على أنقاض تجمعات سكانية متناثرة، حيث جاء في رسالة القطب "في أجداد بني مزاب هؤلاء القرى الخمس، اعلم أن أهلها كانوا في مواضع قريبة من حيث الآن"[6]. تشكّلت هذه التجمعات من خلال عشيرة واحدة أو عدة عشائر (عرش)، وتجمعها كان بسبب الظروف الأمنية كما يقول القطب اطفيش: "وكان أهل كل قرية قليلا متزلزلين غير مطمئنين للجدب وقلة الماء وبعض الحروب، وأكثرهم انتقالا من موضع إلى موضع حتى كانت عدة مواضع"[7].

---

[1] بنو مصعب: يقصد به بنو مزاب، أنظر: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج3، ص 214.

[2] الواصلية نسبة إلى واصل ابن عطاء (80-131هـ/700-748م) مؤسس مذهب المعتزلة، وقد سمي أتباعه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة شيخه الحسن البصري.

[3] متياز (ابراهيم بن نوح)، تاريخ مزاب ، مخ . بحوزة عائلة المؤلف بقصر بني يزقن ، الكراس رقم 01، ص 39،40.

[4] ابن خلدون (يحي) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية ، الجزائر 1980م، ج1، ص 186. وحرف الصاد في مصاب ينطق زاياً "مزاب".

[5] يحي بوراس ، العمارة الدفاعية..، المرجع السابق،ص07.

[6] اطفيش محمد بن يوسف، الرسالة الشافية في بعض تواريخ اهل وادي مزاب، النسخة المخطوطة، ص 18-19.

[7] نفسه، ص19.

ثانيا: مزاب جغرافيا

تقع منطقة وادي مزاب شمالي صحراء الجزائر، على بعد حوالي 600كلم جنوبي مدينة الجزائر العاصمة، في إقليم جافّ يتسم بكل الخصائص البيئية الصحراوية. تقدّر مساحتها بـ8000 كلم[2]، وتنحصر بين دائرتي عرض 32° و33.20° شمالا، وبين خطّي طول 3°و4° شرقا، وتمتد هذه المنطقة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وتغطّي بذلك رقعة جغرافية طولها حوالي 100كلم، و ترتفع على مستوى البحر في الناحية الشمالية الغربية بحوالي 780م جنوب حاسي الرمل، في حين تنخفض تدريجيا في اتجاه الجنوب الشرقي لتصل لحوالي 300م[1].

يحد منطقة وادي مزاب شمالا وادي اوريغنو الذي يصب في وادي انْسا[2]، وفي الغرب وادي زرقونْ، وتمتدّ شرقا إلى زلفانة والقرارة، ويحدها من الجنوب وادي متليلي[3].

يستمد وادي مزاب مياهه عند السيلان من أودية لَعْذيره ولَبيض والتوزوز من حيث ترتوي واحات غرداية ومليكة، ويستمرُّ ليلتقي مياه وادي انْتيسه بعدَ أن يسقي واحات بني يزقن. وبنفس نقطة التقاء وادي انْتيسه بوادي مزاب تقريبا يتصل بوادي مزاب من الشمال الشرقي وادي آزويل الذي يسقي جزءا هاما من واحات بنوره، ومن ثم يستأنف متجها نحو واحة قصر العطف مرورا بزلفانة، ليصب في منخفض الهيشة (سبخة سيفون) على بعد 16 كلم عن انقوسة[4] شمالي مدينة ورقلة[5].

---

[1] Charles Amat, Le M'zab et les mozabites, Paris, 1888, p43.

[2] ينبع الوادي من فوق مصاب (حاسي الدلاعة) ولاية الاغواط ليمر بمدينة بريان من جهة القبلة ويلتقي بعدها بواد لروي و الوديان الأخرى ليصل إلى مدينة الحجيرة بولاية ورقلة ، ومعناه بالمزابية واد ن سا واد يلتقي به سبع (سا) أودية

[3] متياز ابراهيم ، مرجع سابق ، ص2

[4] انقوسة بلدية تابعة لدائرة انقوسة ولاية ورقلة تقع شمال الولاية بين بلدية الرويسات وبلدية اعمر على بعد 20كلم من مقر الولاية.

[5] بوراس يحي ،مرجع سابق، ص 11.

تأسيس قصور مزاب

القصور الخمسة الأولى هي: العطف (تَجْنينْت)، غرداية (تَغردايتْ)، مليكة (آتْ مْليشَتْ)، بنورة (آتْ بنَور)، بن يزقَن (آتْ ازْجَنْ)، إضافة إلى قصري بريان (آتْ ابرقانْ) والقرارة (إقْرارنْ)، البعيدين عن نطاق الوادي لكنهما يحسبان معهم بحكم الترابط العرقي والإثني بين هذه القصور[1].

أما ما يخص تواريخ تأسيسها فإن الأمر يشوبه كثير من التناقض أو عدم الوضوح، خاصة وأنها كانت مسبوقة بتجمعات سكنية أخرى، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: أَغَرم[2] نْ ودَّاي (مليكة)، أَغَرم نْ تلَزضيت (العطف)، أَغَرم "بكْياو" و"مكي" (بن يزقن)، أَغَرم "بابا السَّعدْ" (غرداية)[3]. وأقدم نص يشير إلى قصور بني مصعب، هي فقرة وردت في كتاب طبقات الدرجيني (ت 670هـ/ 71-1272م)[4].

وترد كذلك فقرة هامة في كتاب العبر لابن خلدون عن موضع قصور مزاب لكن دون الحديث عن تاريخ التأسيس، نصها: "ومن بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة ما دون الرمال وعلى ثلاثة مراحل من قصور بني ريغة في الغرب. وهذا الإسم للقوم الذين اختطُّوها ونزلوها من شعوب بني بادين"[5].

وقد اتّفقت معظم الروايات على أن أول قصر أُنشئ بعد تحول بني مزاب من الاعتزال إلى المذهب الإباضي كان قصر العطف (تاجنينت) سنة 402هـ/1012م[6]. نذكر هذه القصور بالترتيب الزمني:

---

[1] ناصر بلحاج ، النظم و القوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة ، جمعية التراث ، القرارة غرداية ،2018.ص 30.

[2] "أغرم" هو القصر أو القرية باللغة المزابية.

[3] اطفيش محمد بن يوسف، مصدر سابق، ص 18-23.

[4] الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد)، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تح ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر (د-ت) ج1، ص 183-184.

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، مصدر سابق، ص 80.

[6] أقدم وثيقة لحد الآن بشأن تاريخ تأسيس قصر العطف وجدت بخط بايوب بن قاسم العطفاوي (ق 10هـ/16م) الذي يعزو تأسيس قصر العطف إلى سليمان بن عبد الجبار ابن عم خليفة بن أبغور، وذلك سنة 402هـ/1012م. (نسخة مصورة من الوثيقة المخطوطة بحوزة الأستاذ يحي بوراس نقلت من خط بايوب بن قاسم)

أ- أُسس قصر العطف[1] سنة402هـ/ 1012م، وهي أقدم مدن وادي مزاب، وتسمى محليا تاجنينت وهي كلمة أمازيغية، يقصد بها المكان المنخفض[2]، كما يوجد من يرد تسميتها بالعطف، إلى كون وجودها بعد منعطف الوادي[3].

ب- وأما قصر بنورة فقد أسس سنة457هـ/ 1065م[4]، وينسب تأسيسه إلى جماعة بني مطهر المزابية، وتسميته بالبربرية آت بنور نسبة إلى قبيلة زناتة التي لا تزال توجد في وادي مزاب [5].

ج- قصر غرداية الذي يعتبر القصر الرئيسي في وادي مزاب، فقد أُنشأ سنة477هـ/ 1085م، وأما تسميته المحلية فهي تغردايت، بتصغير لكلمة أَغَرداي، ومعناه الجبل الكبير[6]. كما يفسَّر بمعنى الأرض المستصلحة الواقعة على ضفة مجرى الوادي[7].

د- أما قصر مليكة فقد أُسس على مرحلتين، ففي المرحلة الأولى بني في موقع يدعى أَغَرم نْ ودَّاي سنة 395هـ/1004م، ثم هجر سنة 1123م، ثم أُنشئ في المرحلة الثانية في موقع يعلو الموقع المذكور سنة 756هـ/ 1355م، وأما تسميته المحلية فهي آت مليشت نسبة إلى مليكش أحد زعماء قبيلة زناتة[8]، كما تفسر نسبته إلى هذا الاسم لأنه يشرف ويعلو على القرى الأربع.

---

[1] تبعد مدينة العطف بمسافة 9 كلم عن مقر ولاية غرداية .**ينظر**:

Dictionnaire des communes de l'Algérie, villes villages, hameaux, douars, postes militaires , bordjs, oasis, caravansérails, mines, carrières, sources thermales et minérales, Alger, Pierre ,Fontana Imprimeur-éditeur, 1903, p71.

[2] مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، الجزائر، دار الحكمة، ب ر ط، ج 2 ، 2007م، ص ص 214 -215

[3] بكير أوعشت، وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا – تاريخيا – اجتماعيا، الجزائر، المطبعة العربية، ، 1991 م، ص ص66-67.

[4] يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية ، ط4، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ،2017 ص 17.

[5] بكير أوعشت ، مرجع سابق ،ص67.

[6] بكير أوعشت، نفسه، ص 68 .

[7] مختار الحساني، المرجع السابق، ص212.

[8] يوسف الحاج سعيد، مرجع سابق، ص20.

هـ- أما عن قصر بني يزقن[1] فقد أنشأت سنة720هـ/ 1321، بعد أن توحدت تجمعات سكانية متمثلة في بكْياو ومكي وتِرشِينْ وأَقْنَنَّاي وتَمْلالَتْ، وأما عن تسميته المحلية فتدعى آتْ اسجن نسبة إلى إحدى العائلات التي عمرت هذه المدينة[2].

و- أُنشأ قصر القرارة سنة 1040هـ/ 1631م من طرف أولاد باخة الذين هاجروا من غرداية، وعائلات أخرى من قصور وادي مزاب[3]، لما زادت الكثافة السكانية بها وصار من غير الممكن أن تحتمل هذا الفائض السكاني، وأما عن تسميته المحلية فهي إقرارن ومعناها الجبال الموجودة في المدينة، لها أشكال بيضوية تآكلت بسبب العوامل الجغرافية. كما ترد تسميت القرارة لاستقرار بعض مياه الأودية الطويلة العريضة فيها وما يجلب إليها مياه المطر مسافة يومين أو ثلاث[4].

ز- مدينة بريان آت ابرقان: بمعنى أصحاب الخيم الصوفية، لأن كلمة إبرقان تعني في اللغة الأمازيغية الخيمة الصوفية من الوبر أو من شعر الماعز[5]. فهي تقع جنوب غرداية بنحو 43كلم، والتي تأسست عام 1099هـ الموافق له 1689م وهي مدينة تزخر بتراث حضاري عريق، وتحيط بها واحات النخيل والبساتين، فهي تقع على مفترق الطرق والأودية كوادي بلوح، ووادي السودان والمدغ غربا، ووادي انْسا والزَّرقِي شرقا[6].

---

[1] يبعد قصر ات يزجن عن مقر ولاية غرداية ب2.5 كلم .

[2] يوسف الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 20.

[3] نفسه،ص88.

[4] بكير أوعشت ، مرجع سابق ،ص70.

[5] إسماعيل بن محمد لعساكر، بريان تاريخ وحضارة دراسة تاريخية حضارية سياسية اقتصادية اجتماعية دينية ثقافية، 2018 ، ص 19-20.

[6] يوسف الحاج سعيد، المرجع السابق،ص89.

المبحث الثاني: الأنظمة والأعراف والسلطة المسيرة لها

أولا: السلطة المسيرة للأنظمة في واد مزاب

1. المجلس الأعلى على مستوى المدينة

كل قصر من قصور مزاب له مجلس أعلى يشرف على شؤونه، ويتكون من طلبة وعوام، ونقصد بالطلبة العزَّابة أو حلقة العزابة أو نظام العزابة كلها تؤدي لنفس المعنى، عرفهم معجم مصطلحات الإباضية على النحو الآتي: جمع مفرده عزابي، وهو مشتق من عزب عن الشيء: تركه وانصرف عنه، واستعير لمن بعد عن الأمور الدنيوية الشاغلة عن الآخرة، وبالأمازيغية يقال: (إعزَّابن) مفرده (أعزَّاب). والعزَّابي كما عرفه الدرجيني في كتابه طبقات المشايخ، ونقله عنه أغلب من كتب في الموضوع، هو: "كل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير، وحافظ عليها وعمل بها.. واعلم أن لهذا الصنف سيما انفردوا بها، وأحوالا عرفوا بها، لا يتفضل عليهم فيها سواهم، وذلك في تسميتهم، وخطابهم، ومؤاكلتهم، ولباسهم، وأوقات نومهم، وقيامهم، وأورادهم وصيامهم، وعبادتهم، وعندهم في ذلك قوانين يعتادونها وحدود لا يتعدونها.."[1].

تعود بداية استعمال هذا المصطلح إلى أيام أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي[2]، حينما أسس الحلقة ورتّب قوانينها في القرن 5هـ/ 11م، ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا، والعزابة هيئة تقوم مقام إمامة الظهور في مسلك الكتمان عند إباضية المغرب، ويشترط في الالتحاق بهذا النظام أن يكون العضو: متأدبا كيسا، مستمرًّا في طلب العلم، لا يكثر التردد على الأسواق، نظيف الثياب، طيب القلب غير مستجيب لأهواء النفس، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، غير ذي فاقة فيحتاج إلى

---

[1] **أنظر**: الدرجيني، طبقات اج1، ص3.

[2] محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي (أبو عبد الله)، ولد: 345هـ/956م، توفي: 440هـ/1049م. أحد أقطاب الإباضية في المغرب، ومن أبرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين. وصفه الدرجيني بقوله: "هو الطود الذي تضاءلت دونه الأطواد، والبحر الذي لا تقاس به الثماد"؛ ولد الشيخ أبو عبد الله بمدينة فرسطاء بجبل نفوسة، تتلمذ على يد الشيخ أبي نوح سعيد بن زنغيل بالقيروان، وغيرهم في عدة مدن من البلاد المغاربية. **أنظر**: مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب الإسلامي، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط2، 2000م/1421هـ، ص368.

الناس ويضعف في قول الحق. يتكون مجلس العزابة غالبا من اثني عشر عضوا؛ اندثر هذا النظام في كل من جبل نفوسة بليبيا وجربة بتونس وغيرها من بلاد المغرب، لكنه لا يزال قائما في واد مزاب ووارجلان بالجزائر إلى يومنا هذا، مع تطورٍ في الشروط والمهام والعدد[1].

أما العوام فهم ممثلوا العشائر، والأشخاص الذين لا يندرجون في فئة الطلبة، وهم جميع الناس الذين يشتغلون في الأعمال العامة وغير المسجدية حتى وإن كانوا من فئة العلماء وذوي السلطة. ولهؤلاء مجلس يمثلهم ينبثق من العشائر بحيث تَعين كل عشيرة ممثلا يسمى مقدّما (مجلس المقاديم)، ومن مهام هذا المجلس:

- الإشراف على الموارد الاقتصادية والسهر على نماء الزراعة، وفض الخصومات المتعلقة بملكية الأراضي.
- الإسهام في حفظ أمن البلد والسهر عليه.
- المشاركة في سياسة البلدة.

يرأس مجلس العوام أحد أعضائه، وينتخب لمدة عام ويسمى الحاكم، وينوب عنه عضو آخر يسمى الخليفة ويكون عادة من الصف المعارض لصف الحاكم. ويبدو أن هذا المجلس تطور عن نظام الجماعة في التجمعات الإباضية ببلاد المغرب. وثمة تداخل بين مجالس العوام والمقاديم والضمان والأعيان في المهام والمسؤوليات[2].

نجد في نصوص الاتفاقات الخاصة بالمدن عبارة "اتفق عزابة وعوام.." أو "طلبة وعوام.." وغيرها؛ للدلالة على اجتماع مجلسي العزابة والعوام في مجلس واحد على مستوى كل القرى، مكان اجتماعهم المسجد، وهذا له دلالاته وأسبابه، فهو مقر شيخ الحلقة الذي يمثل المرجعية الدينية الأولى في المدينة، ولكل مدينة من مدن مزاب قانون خاص بمجلسها، وهو بمثابة الدستور له، حيث يعود إليه القاضي في الحكم في مختلف القضايا الطارئة، وعلى أساسه يتم الحكم في الحوادث والمستجدات،

[1] **أنظر**: مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط2، 1432هـ/2011م، ج2، ص 700-703.

[2] **أنظر**: نفسه، ص745،746.

كما أنه لا يختلف كثيرا بين مدينة وأخرى؛ أما عن عدد أعضاء هذا المجلس، فعلى الأرجح 24 عضوا، 12 من العزابة، و12 من العوام[1].

هذا المجلس بمثابة السلطة التشريعية والقضائية في آن واحد، يقول الدكتور بالحاج ناصر، في حديثه عن مهام أعضاء المجلس: "يبدو أن الصلاحيات قُسمت بشكل دقيق بين العزابة والعوام، وأهم مؤشر على ذلك هو عدم وجود ما يشير إلى خلافات بينهما بسبب تداخل في الصلاحيات أو ما شابه ذلك.."[2].

المرجعية الأولى لسلطة المدينة كانت للعزابة وهذا ما اتفق عليه أهل بلدة غرداية: "إذا وقع منكر في البلاد فإن العزابة يزولونه من البلاد والأعوام لا مدخل لهم في ذلك"[3]. وبعد إصدار العزابة حكمهم في قضية ما، فإن العوام ينفذون الحكم أو العقوبة المقررة حسب نفس الاتفاق: "واتفقوا على من تعدى على هذه الحدود وعزروه العزابة فإن الأعوام يوافقوا ما أمروا به العزابة"[4]. يعتبر المجلس المذكور والمكون من العزابة والعوام، السلطة التشريعية والقضائية في البلاد، والذي يشكل مع مجالس القصور الأخرى السلطة العليا على مستوى واد مزاب، أي أعلى سلطة تشريعية وقضائية، ويسمى مجلس واد مزاب[5].

2. الهيئة العليا على مستوى واد مزاب

كما الحال مع المجالس المحلية على مستوى كل بلدة من بلدات مزاب التي تحتوي على العزابة والعوام، فإن المجلس الأعلى لواد مزاب يجمع ممثلي العزابة على مستوى كل قصر، وممثلي العوام كذلك، وهذا ما يظهر من خلال محاضر الجلسات الخاصة بالاتفاقات: "عزابة بني مصعب وعوامها

---

[1] بالحاج ناصر، النظم والقوانين ..، مرجع سابق، ص74.

[2] نفسه، ص 75.

[3] اتفاق أهل بلدة غرداية في شعبان 1143هـ، **أنظر**: القاضي بوفاره، مجموع مخطوط من مكتبة الباحث عبد الرحمان حواش، ص 83.

[4] المصدر نفسه.

[5] بلحاج ناصر، النظم و القوانين.. ، مرجع سابق ، ص 76.

وعلماؤها"، أو "مجلس عزابة واد مزاب طلبة وعواما" وغيرها[1]، وذكر شارل آمه في دراسته الصادرة سنة 1888 أن عدد العزابة الممثلين عن كل مدينة هو ثلاثة[2]، دون ذكر عدد العوام في المجلس[3].

على المستوى العام فإن قرى مزاب كانت تشكل اتحادا يشرف عليه مجلس أعلى يُمثَّل من كل القرى الخمس (أو السبع)[4]، من عزابة وعوام (أعيان)، ولا يعرف تاريخ إنشاء هذا المجلس الاتحادي، ولكن أقدم قرار له –وجد مكتوبا– كان يحمل تاريخ 1 رجب 807هـ /1405م، وقد كان ينعقد في مقبرة الشيخ باعبد الرحمان الكرثي، أو مقبرة الشيخ عمي سعيد، وهو مجلس تشريعي يشرع الأحكام في الجرائم والجنايات والمعاملات، كما يضع اللوائح التي تخص حياة مزاب العامة؛ ورئيس هذا المجلس يسمى شيخ وادي مزاب، تنتخبه عزابة القرى من بينهم وهو الذي يعلن عن الاتفاقات التي تصدر عن المجلس[5].

ثانيا: نماذج من أنظمة وأعراف المزابيين

الأعراف هي الاتفاقات والقوانين السائدة في منطقة مزاب، والتي شملت مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية[6]، وهي عبارة عن ما يتفق عليه ممثلوا هيئتي العزابة والعوام –السلطة التشريعية والقضائية العليا على مستوى وادي مزاب–، وقد عرفت هذه التشريعات بالاتفاقات، حيث يقوم الكاتب بتحرير نص الاتفاق تحت إشراف المجلس مباشرة، وتتم الموافقة عليه بالأغلبية، وتصدر الاتفاقات في شكل مكتوب، ثم يعلن عنها في المسجد[7].

---

[1] بالحاج ناصر، نفسه، ص76.

[2]- CHARLES Amat, Le M'zab et les M'zabites, Op. cit, p160.

[3] بالحاج ناصر، المرجع السابق، ص 76.

[4] وهذا بعد تأسيس قصري القرارة وبريان في القرن السابع عشر الميلادي.

[5] الشيخ ابراهيم بن بحمان، رحلة المصعبي، تح و تع يحي بن بهون حاج احمد، وزارة الثقافة، الجزائر العاصمة، 2007، ص 35.

[6] بالحاج ناصر، النظم و القوانين .. ،المرجع السابق، ص 82.

[7] بالحاج ناصر، مجلس الشيخ عمي سعيد: النشأة والتطور، مجلة المنهاج، العدد الخامس، شوال 1443هـ/ ماي 2022م، ص62/61.

1. من نماذج هذه الاتفاقات الخاصة بمجلس واد مزاب الأعلى نورد ما يلي: اتفاق عزابة وعوام خمسة قصور[1]، "الحمد لله الذي ألهم عباده الصالحين لما [كذا] أصلحهم وهداهم إلى سبيل الشريعة، لأمر دنياهم وآخرتهم، وجعل لهم ملجأً يلجئون إليه عند الاختلاف، ولم يتركهم مهملين كالبهائم، والحمد لله الذي نزل على أشرف الخلق القرآن والبيان..، ومن الذين يتبعونها في جميع أحوالها، والحمد لله، وبعد، إن العلماء المجتهدين اجتمعوا في مجلس الشيخ أبي عبد الرحمان الكرثي، وهما علماء [كذا] خمسة قصور وغيرهم معهم يعني من أعوامها أهل الفضل، واتفقوا على نفقة الصبيان الذين طلقت أمهاتهم من آبائهم فالرضيع ذكرا أو أنثى، يكون مع أمه حيث يكون مستقرها، إن كان الرضيع ذكرا، يعطى لأُمه نفقته، وذلك حتية ونصف شعير، ونصف نقاصة زيتا، ورطلا حنة، ورطلا شحما، وذلك لكل شهر وكذلك ما يجب في كل فصل من اللحم والكسوة، هو في كل فصل ثمن لحما، والكسوة من ما وسط فذالك للغاني، وأما الفقير فعلى ما قدر، وأما إن كانت بنتا رضيعه، فلها حتية شعير، وربع نقاصة زيتا، ورطلا ونصفه حنة، ونصف رطل شحما، ولباسها شتاءا وصيفاً وما ذكر يلزم الأب يدفعه للأم..."[2] إلى آخر الاتفاق، ويعتبر هذا أقدم اتفاق لمجلس واد مزاب وصل إلينا، وهو بتاريخ (807هـ/1405م)، وربما يوما ما سيظهر ما هو أقدم منه.

2. ومما وقع فيه الاتفاق كذلك: في شوال 1025هـ/1642م/: اجتمعت خمس قرى في روضة أبي مهدي عيسى[3] واتفقوا أنّ "من يحمل الحديد (السلاح الأبيض) فغرامته [عقوبة][1] 25

[1] ونقصد بها قصور مزاب الأولى قبل تأسيس قصري القرارة وبريان، وهي كالتالي: تجنينت، آت بنور، تغردايت، آت مليشت، آت ازجن.

[2] Milliot L. & Giacobetti A., Recueil de délibérations des Djemaa du Mzab, Libraire Oriontaliste, Paris, 1930, Cliché n° 1-3.

[3] أحد المجالس العليا للعزابة بوادي مزاب ووارجلان، وهو نسبة إلى روضة أبي مهدي عيسى بن إسماعيل (ت: 971هـ/ 1564م) بمليكة؛ كان يتكفل بالقضايا الأمنية والقضائية التي تهم المجتمع المزابي، كما تدل عليه قراراته. أنظر: معجم مصطلحات الإباضية، المرجع السابق، ج1، ص 14/13.

– عيسى بن اسماعيل بن موسى (أبو مهدي)، علم من أعلام بلدة مليكة بمزاب، يشاع بأن أصله من عرش أولاد نايل بالجزائر، وأنه نشأ على المذهب المالكي، ثم تحول إلى المذهب الإباضي، [لكن كما يقول الدكتور بلحاج ناصر فإنه لا دليل على صحة هذا

ريالا، والذي يضرب به 50 ريالا والنفيان، والحمية والعصبية فغرامته 25 ريالا، والذي عاقبته الجماعة بغرامة فناف عليه أحد أو أوشاه يغرم عليه 5 ريالات، ومن غضب من بني عمه وصار يشوش على عشيرته فغرامته 25 ريالا"[2]، يكمل بعمارة عيسى: "وقع ذلك في شهر شوال عام 1052هـ. الموافق لـ1643م. الكاتب: بابه بن أبي القاسم. نقله من خط يده الحاج أحمد بن بابه بن يحي بن الحاج بن يحي دادي بن أيوب بن حمو بن الحاج"[3].

3. ومن الاتفاقات التي أوردها عيسى بعمارة، إتفاق في مجلس الشيخ أبي عبد الرحمن الكرثي سنة 1242هـ/ 1827م ونص الاتفاق كالآتي: "إتفقت عزابة خمسة قصور على: أنه يجوز استعمال السكة الجديدة (الدراهم الجديدة) التي ضربت في الجزائر، المنسوبة إلى ثلاثة أرباع الدراهم القديمة في

الكلام ، وربما وقع اللبس بينه وبين معاصره عبد الله المرزوقي الذي تحول من المالكية إلى الإباضية، لأنه دافع عنه ممن عاب عليه التحول].

وهو حلقة في سلسلة نسب الدين عند الإباضية، إذ أخذ العلم عن شيخ زمانه بمزاب: الشيخ عمي سعيد الجربي، وهو من أنجب تلاميذه. وأخذ عنه أيمة ومشايخ منهم: الشيخ محمد بن زكرياء الباروني النفوسي، وداود بن بن إبراهيم التلاتي الجربي، وبامحمَّد بن عبد العزيز اليسجني، وأبو زكرياء بن أفلح، وسعيد بن علي، وحيُّو بن دودو.

كان قد تولَّى مشيخة مليكة في عهد أستاذه الشيخ سعيد بن علي بن يحي بن يدَّر.. الجربي الخيري الشهير بـ "أمّ سعيد أو عمي سعيد"، فكان دأبهما أنهما يجتمعان كلَّ يوم في مشهد مشهور بين بلدتي مليكة وغرداية يعرف إلى اليوم باسم "أَدجَّاين"، يتذاكران فيه فنون العلم.

له تآليف عديدة في مختلف فنون العلم، من آثاره:

"مجموعة من الرسائل والردود والأجوبة"، منها: ردُّه على البهلولي أبي الحسن البهلولي الذي كفَّر الإباضية، "رسالة إلى أهل وارجلان"، يدعوهم فيها إلى الصراط المستقيم، "جواب في قضية خلق القرآن". وغيرها.

لما توفي الشيخ اتخذت روضته –في المقبرة المعروفة باسمه إلى اليوم "مقبرة الشيخ سيدي عيسى"– مقرا لانعقاد المجلس الرسمي للقصور السبع.

خلفه في مشيخة بلدة مليكة أحد تلاميذه وهو الشيخ حيو بن دودو، بعد وفاته971هـ/1564م. **أنظر**:

مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية..، مرجع سابق، الترجمة رقم: 700.

[1] عيسى بعمارة ، اتفاقيات المجالس العامة لمزاب 1405م-1928م، ، دار الشهاب باتنة، 1987، ص 38/37.

[2] الشيخ ابراهيم بن بحمان، رحلة المصعبي، المرجع السابق، ص 35./ **أنظر**: عيسى بعمارة، المرجع السابق، مع الكثير من الاختلافات بينهما.

[3] عيسى بعمارة ، نفسه، ص38.

أمورهم وتصرفاتهم التجارية وهذا ابتداء من أول شعبان سنة 1242هـ. الموافق 28 فيفري 1827م. إلا ما كان قديما قبل أن تجوز به المعاملة. وقع ذلك في أوائل شعبان سنة 1242هـ الموافق لـ: 28 فيفري سنة 1827م"[1].

إن مثل هذه الاتفاقات حفظت للمجتمع المزابي جزءاً هاما من كيانه وتوازنه واستقراره، في حين كانت السلطة العثمانية لا تنتظر من رعاياها إلا دفع الغرامات والدُّنوش التي عليهم بعد الحصاد[2]، لذلك كان لزاما على المجتمعات والتكتلات أن تَدبر أمور رعاياها وشؤونهم، ومنه فإن المجتمع المزابي كان مثالا يُحتذى به في التسيير والتنظيم في تلك الفترة.

نلاحظ أن المواضيع التي يدرسها أو يناقشها المجلس معظمها مواضيع اجتماعية وفي المعاملات، وهذا يعطينا إشارة واضحة عن مدى قوة تحكم المجلس في رعيته، وصل إلى درجة سنِ القوانين ووجوب تطبيقها والعمل بها، والمخالف لها يعاقب بأنواع من العقوبات، مثل الحبس والتعزير والتغريم والنفي والحدود، ذكرها بالتفصيل الدكتور بالحاج ناصر[3].

---

[1] عيسى بعمارة، نفسه، ص 25.

[2] يحي بن بهون حاج امحمد ، وجد وأسى..، مرجع سابق، ص18.

[3] بالحاج ناصر، النظم والقوانين..، ص 188-195.

المبحث الثالث: المزابيون في الشمال وعلاقاتهم بالسلطة العثمانية

من بين الفئات والطوائف التي برزت في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني طائفة بني مزاب حيث تعتبر من أهم فئات (البرانية)[1]، ويعود ذلك إلى المواقف المشهودة التي سجلها تاريخ الوجود العثماني بالجزائر، والمعلوم أن السلطة العثمانية في مدينة الجزائر كانت تحتفظ لأهل مزاب بمكانة متميزة وتخصهم بمعاملة راقية.

وقد تميزت العلاقات المزابية العثمانية بالود والاحترام قبل دخول الجزائر تحت لواء السلطة العثمانية وبالتحديد سنة 1510م، بمعاهدة مضمونها حماية التجار المزابيين وممتلكاتهم في مختلف أنحاء الجزائر وحتى تونس[2]، فقد وردت في وثيقة الحماية مع فرنسا سنة 1853[3] فقرات تدل على هذه العلاقة، من بينها ما تعلق باللزمة.

---

[1] النازحين أو "البرانية" كما كانوا يسمون بالتعبير الدارج، هم سكان قدموا من مختلف المدن إلى مدينة الجزائر قصد العمل والكسب الحلال ومن بينهم –جواجلة – بساكرة – بني مزاب.

[2] إبراهيم القرادي، الحاج ايوب ابراهيم آثاره الفكرية، جمعية النهضة، غرداية، الجزائر، 2009، ص152.

[3] أدرك أعيان المزابيين ازدياد حجم الخطر الفرنسي على مصير بني مزاب ونشاطهم التجاري، وأنه من المستحيل التغلب على الفرنسيين في حدود منطقة وادي مزاب، بعد أن أثبتت التجارب منذ سنة 1831م، اندحار جميع المقاومات الشعبية أمام هذا المحتل، فلجؤوا إلى عقد معاهدة الحماية مع الجنرال راندون، والتي ضمنت لهم حرية الاستقلال الداخلي ، ولما تحددت لهم المعالم السياسية التي يجب أن يسلكوها مع الفرنسيين، بادروا إلى عقد معاهدة الحماية مع الحاكم العام الفرنسي في الجزائر ، فاجتمع المجلس الأعلى لوادي مزاب في مسجد عمي سعيد واتفقوا على إيفاد جماعة من أعيان المدن السبع لوادي مزاب إلى مدينة الأغواط يوم 22أفريل 1853م لإبرام المعاهدة. وقد أنجزت هذه المهمة مع حاكم الأغواط دوبراي ثم توجهوا إلى الجزائر والتقوا مع الحاكم العام راندون في 25 أفريل 1853م لتأكيد المعاهدة. **أنظر**:
عمر الحاج امحمد، مذكرات ووثائق رسمية عن وادي مزاب من ناحيته الدينية والسياسية والاجتماعية، من 1853-1951م، مطبعة النهضة، تونس،1951./ محمد بوسعدة، دور مزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1930-1962م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، 2020، ص74-76.

يقول الشيخ القرادي: "ويمكننا القول أن هذا الارتباط بالدولة العثمانية بالجزائر يعتبر أول وثيقة سياسية ربطت الصحراء الجزائرية بالوطن الجزائري بصفة طوعية قبل وصول السلطة العثمانية إلى منطقة الزيبان وأريغ (بسكرة وتقرت) وقبل وصول صالح باي إلى الأغواط سنة 1785م"[1].

كيف كان الاتصال الأول بين المزابيين والعثمانيين في مدينة الجزائر؟ وماهي المواقف والتضحيات التي خلدها لهم التاريخ؟ وماهي الامتيازات التي منحت لهم إزاء خدماتهم؟

أولا: أسباب هجرة بني مزاب إلى مدينة الجزائر

كما نعلم أن منطقة وادي مزاب صحراوية المناخ وتمتاز بطبيعتها القاسية وقلة مياهها[2]، يقول وليام شالر عنها: "هذه البلاد لا تكاد تعرف هطول الأمطار إلا في الناذر، فسكانها يشربون من مياه الينابيع"[3]، ومع تزايد عدد السكان في المنطقة، وضعف النشاط الزراعي الذي أصبح لا يضمن للفرد المستوى المعيشي المقبول، أجبرهم ذلك في التفكير بالاغتراب إلى مدن التل من أجل الكسب الحلال، حيث تعرف هذه المدن ظروفا أحسن للعمل والعيش، يقول أحمد توفيق المدني: "... كان المزابيون يهاجرون لبلاد التل باستمرار من أجل التجارة والكسب"[4]، لم يعثر على تاريخ بداية هذا الاغتراب، إلا أن المؤرخين حددوا تاريخ تواجد المزابيين بمدينة الجزائر بداية القرن 14 للميلاد[5].

يذكر يوسف الحاج السعيد توزيع سكان القصور على بعض مدن التل، فيقول: "إن أهل غرداية يكثر ذهابهم إلى مدن قسنطينة وسطيف وغليزان، وأهل بني يزقن إلى سوق اهراس والبليدة وأهل العطف إلى الجزائر وقسنطينة، وأهل بونورة إلى الجزائر وتيارت، وأهل مليكة إلى الجزائر وباتنة

---

[1] إبراهيم القرادي، المرجع السابق، ص152.

[2] المختار الحساني، مرجع سابق ، ج2، ص210.

[3] وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1816-1824م، تح، تع، تق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982، ص 111.

[4] أحمد توفيق المدني محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 1791 سيرته، حروبه، اعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المكتبة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1986م،ص138.

[5] يوسف الحاج اسعيد ، مرجع سابق ، ط4، ص57.

وخنشلة والسور "سور الغزلان"، وأهل بريان إلى الجزائر وقسنطينة وأهل القرارة إلى العلمة وباتنة وخنشلة والبليدة، وكان بعض المزابيين يقصد تونس وليبيا وحتى الإسكندرية[1].

ثانيا: المزابيون في تونس

تناولنا منطقة تونس لأن أول اتصال بين المزابيين والعثمانيين كان في مدينة (جزيرة) جربة التونسية. اكان للشيخ باحيو بن موسى العطفاوي[2] وفرقته الفدائية من الفرسان المزابيين المرابطين على السواحل الجزائرية اتصالات بآل بربروس بتونس، إذ كانت لهذه الفرقة وقائدها مشاركة في رد هجوم الإسبان على جزيرة جربة التونسية سنة 916هـ/1510م. اكان يحكمها أبو زكريا يحي السمومني[3]، أسفرت هذه المقاومة عن تحطم أسطول دون قارصيا دو طليطلة الإسباني[4].

وقد دون الشيخ باحيو في منظومة من 29 بيتا[5]، بعض التفاصيل عن هول المعركة وشراستها وكثرة جيوش العدو التي قدّرها بأزيد من ثمانين ألفا، بالإضافة إلى وفرة العتاد لديه، ومحاولته العنيدة للاستيلاء على الجزيرة، كما تعرض إلى هزيمة جيش العدو الفادحة.

---

[1] يوسف الحاج السعيد، مرجع سابق، ط4، ص58.

[2] بحيو بن موسى (حي في: 916 هـ/ 1510م) قيل أصله من بن يزقن، وقيل من العطف، استدعاه خير الدين بربروس بعد إحساسه بالخطر المحدق على العاصمة، فكانت له المهمة الرئيسية في تكوين مجموعة من الفدائيين المزابيين، وهزموا الإسبان بحيلة بتاريخ 925هـ.24اوت 1518م، أطنبت المصادر في ذكر تفاصيلها بالعطف مسجد يحمل اسمه يزار للعبرة والذكرى .أنظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام..، مرجع سابق، ص 85.

[3] أبو زكريا يحي السمومني من مشايخ الحكم بجزيرة جربة بتونس. استعان الشيخ يونس بن سعيد الصدغياني بأسرته لكفاءتها السياسيَّة والقياديَّة. قاد معركة ضدَّ الإسبان، بصفته شيخ الجزيرة، عام 916هـ/1510م، أثناء هجومهم على جربة وسواحل المغرب الإسلامي. **أنظر**: الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، ص78.

[4] محمد وقاد، جماعة بني مزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني 1700-1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2010، ص 66.

[5] إبراهيم أبو اليقظان، مصدر سابق ، ص8-9.

ويذكر حمو عيسى النوري[1]، أن الشيخ بحيو بن موسى تناول من جملة معاركه العديدة مع العدو الإسباني ثلاثا منها بالتفصيل، غنم فيها أكثر من عشر بواخر حربية، محملة بغنائم كثيرة، استرجع من الأسر سبعمائة امرأة كان العدو قد أخذهن سبايا لبيعهن في سوق النخاسة[2].

ثالثا: المزابيون وآل بربروس في الجزائر

كان الاتصال جاريا بين خير الدين بربروس وبعض أعيان المزابيين بالجزائر، بعد استيلاء القائد الإسباني بيدرو نافارو على الجزر الأربع المقابلة لسواحل مدينة الجزائر، وعلى وقع هجمات الإسبان سنة 925هـ/1518م واحتلال كدية الصابون بمرتفعات الجزائر، استدعى خير الدين بربروس وفدا من المزابيين على رأسهم المجاهد الشيخ باحيو بن موسى وأمين المزابيين بمدينة الجزائر آنذاك بكير بن الحاج محمد بن بكير المليكي[3]، يستشيرهم في الأمر، فأشاروا عليه بالقيام بعملية فدائية لافتكاك الحصن من الإسبان ، والتزموا بالقيام بالمهمة فاختاروا 70نفرا من الشبان المتطوعين[4].

يذكر أحمد توفيق المدني في كتابه "حرب الثلاثمائة سنة" هذه الواقعة التي لجأ فيها خير الدين إلى "حيلة حربية غريبة"، حيث أرسل جماعة من المجاهدين الجزائريين بكل سرعة إلى ساحل البحر يقدرها المؤرخون بخمسمائة 500 رجل وما كادت الفرقة الفدائية تحل بالموقع الذي اتخذه الإسبان

---

[1] حمو عيسى النوري: من مواليد نوفمبر 1914م بمدينة آت بنور (بونورة) ، انظم إلى جمعية العلماء المسلمين منذ تأسيسيها حيث كانت له مشاركات فعالة في مجلة الشهاب ، كان مناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري رفقة أصدقاءه: مفدي زكرياء، محمد المغربي. انتقل إلى مزاب ليواصل نضاله و كان مسؤولا لخلية جيش و جبهة التحرير الوطني تحت رقم 1172 بالولاية السادسة . سجن في معركة شعبة نيشان بغرداية 18جوان 1960م بعد حصار مدينة بنورة اثر خروج فرقتين من جيش التحرير لمعركة تحت قيادة رابح الابيض و مصباح البغدادي .توفي سنة 1992م. أنظر: حمو بن محمد عيسى النوري ، دور المزابيين قديما وحديثا في تاريخ الجزائر .ج1.

[2] حمو بن محمد عيسى النوري ، المصدر سابق، ص 224.

[3] بكير بن محمد بن بكير: حي في (925هـ – 24 اوت 1518م)هو من مليكة بمزاب، كان امين المزابيين بالجزائر العاصمة، ورئيس جماعتهم . وقد استدعاه خير الدين بربروس العثماني إلى قصره في مهمة سياسية ، وذلك عند هجوم الاسبان و احاطتهم بالعاصمة 24 اوت 1518م، وقد أطنبت المصادر في ذكر تفاصيلها. **أنظر**: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام...، المرجع السابق، ص 97./ يوسف الحاج سعيد، مرجع سابق، ص63.

[4] محمد وقاد، المرجع السابق، ص 56.

معسكرا لهم، والذي لم يتركوا لحراسته إلا عددا قليلا، حتى أخذوا يدمرون المعسكر ويشعلون النار في القوارب التي تصل الأسطول بالبحر، ويهددون سفن الأسطول[1].

ويضيف قائلا: "وكان الإسبان يرون من كدية الصابون تطورات هذه العملية الخطيرة... فوقعوا في المكيدة وارتدّت قوات كثيرة منهم نحو البحر لمحاولة إنقاذ السفن والقوارب، وهكذا انقسمت قواتهم نصفين، ففتح المجاهدون أبواب المدينة فجأة فانطلقوا يهاجمون الإسبان من كل جهة، فاختل نظامهم وفقدوا مواصلاتهم... واخترقتهم السيوف من كل جانب وانصب عليهم وابل الرصاص فمات منهم جمع كبير ووصل الباقون منهم إلى ساحل البحر"[2].

رابعا: بنو مزاب وحملة الإمبراطور الإسباني (شارلكان)

بعد أن أخضع الإسبان عرشي الحفصيين بتونس والزيانيين بتلمسان، استمروا في غزوهم للسواحل المغربية وبالخصوص مدينة الجزائر التي أصبحت وحيدة بعد احتلالهم شرقها وغربها. فإذا تم لهم النصر أمكنهم من السيطرة على الحوض الغربي من البحر المتوسط وبذلك يسهل عليهم حصار فرنسا حليفة العثمانيين[3].

ورغم الاستعدادات الكبيرة التي قام بها الإسبان التي استغرقت خمس سنوات ابتداء من احتلال الإمبراطور شارلكان (شارل الخامس) لتونس إضافة إلى دعم البابوية[4]، كان الجزائريون بقيادة حسن آغا[5]، قد أكملوا كل استعداداتهم لمواجهة العدوان، لم يتردد المزابيون في صد الحملة وتقديم يد

---

[1] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792 م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص207. **أنظر أيضا**: محمد وقاد، المرجع السابق، ص 66.

[2] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة، المرجع السابق، ص208.

[3] حاج موسى بن عمر، المزابيون في العهد العثماني(1510-1830م)،مجلة الحياة، ع12، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 2008،ص130.

[4] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق،ص280.

[5] حسن آغا ولد في1486م وتوفي في 1545م، أصله من سردينيا الإيطالية وهو أشهر حكام الجزائر بعد خير الدين بربروس في القرن السادس عشر للمزيد انظر عبد الحميد بن أبي زيان ، دخول الأتراك العثمانيين للجزائر، الجزائر، بدون تاريخ، ص191.

العون للعثمانيين[1]، ومن خلال ما تحتفظ به الذاكرة الشعبية لبني مزاب، ما ذكره الأستاذ والباحث اللغوي الفرنسي أوغست موليراس (Mouléras Auguste) حيث ذكر أن جماعة المزابيين تقدمت إلى الداي بطلب منه، واستعدت لمهاجمة الحامية الإسبانية، وبالمقابل تعهد بمكافأة المزابيين بمنحهم احتكار (الحمامات والطواحين والمجازر وبيع الخضار) بالإضافة إلى تعهده بمنحهم وبعقود مكتوبة أملاكا هامة بمدينة الجزائر[2].

خادع المزابيون الإسبان بالتستر في أثواب النساء (الحايك) في وفد رافعين أعلام الاستسلام متجهين إلى الحصن، ولما فتح لهم، دخل هؤلاء المتنكرون بأسلحتهم مخفية تحت أثوابهم، وتمكنوا من قتل كل من كان داخل الحصن[3].

كما تحدث بفايفر سيمون[4]. عن المقابل الذي ناله المزابيين جزاء تضحياتهم، حيث قال: "أما في مدينة الجزائر فإن لهم مكافأة على هجومهم على قلعة الامبراطور، وقتلهم الحامية التي وضعها شارل الخامس، امتيازات هامة"[5].

خامسا: تخليص حسين باشا من تمرد الكراغلة

في ولاية حسين باشا[1] سنة 1630، تزعم الكراغلة[2] تمردا يهدف إلى الإطاحة بالباشا ووضع الجزائر تحت سلطتهم باعتبارهم أقرب إلى السكان الأصليين في الجزائر، فاعتصموا ببرج مولاي حسن[3].

---

[1] محمد وقاد، المرجع السابق، ص 57.

[2] بلحاج ناصر، النظم و القوانين...، مرجع سابق ،ص 144.

[3] بلحاج ناصر، نفسه.

[4] بفايفر سيمون ولد حوالي 1810م بمدينة راينهيسن (ألمانيا)، أسر بضواحي مدينة إزمير من طرف بحارة جزائريين وحمل إلى الجزائر سنة 1825م، وبقي بها إلى غاية 1830م اشتغل خلالها في الطب .**أنظر**: بفايفر سيمون، لمذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق. وتع. أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974،ص2-3.بلحاج ناصر، النظم والقوانين..، مرجع سابق ،ص 144.

[5] بفايفر سيمون، مذكرات..، مرجع سابق، ص 130.

ويذكر صاحب المرآة أن الباشا حسين عندما بلغته أخبار التمرد استعان بعدد من أهل مزاب المقيمين بالمدينة لإحباط المؤامرة بأن يلبسوا لباس نساء المدينة، ويخفوا السلاح والذخيرة تحت ملاحفهم ثم يتقدموا لدخول البرج. وعند دخول هؤلاء المتنكرين البرج هاجموا المتمردين على حين غفلة بمساعدة من كان يتبعهم عن كثب، فأجهضوا التمرد وأحبطوا المؤامرة[4]. يبدو من خلال ما عرضنا أن خلطا وقع بين الروايات التاريخية، فتداخلت تفاصيل الوقائع. وأبرز ما يعزز هذا الرأي هو تكرار استعمال حيلة التزيين بزي النساء في أكثر من واقعة.

وما يؤكد الدور العسكري الهام للمزابيين بالجزائر، إلى جانب دورهم الاقتصادي[5]، ويثبت مساهمتهم في إنتاج الذخيرة الحربية، ما تشير إليه عبارة "مصنع البارود المزابي" التي تضمنها مخطط لمدينة الجزائر في بداية الفترة الاستعمارية[6].

ونتيجة لذلك كله أقرت الولاية العثمانية في الجزائر بفضل هؤلاء، فتنازلت لهم عن الإشراف على بعض المرافق العمومية مثل المسالخ والرحوات والمخابز والحمامات، وفي اماكن مهمة في مدينة الجزائر ، وقد احترم الحكام الذين تداولوا على الحكم هذه الامتيازات فبقيت متوارثة بينهم، ولا يزال

---

[1] حسن باشا (1627-1633م)حكم مدينة الجزائر بعد موت الداي علي ، حيث كان خزناجيا في ولايته ، وكان نزيها و ذا اخلاق فاضلة ، وقع في عهده نزاع حول الحدود التونسية الجزائرية .أنظر: محمد وقاد، مرجع سابق ،ص69.

[2] الكراغلة جمع كرغلي: هو احد اصنف السكان في الجزائر خلال العهد العثماني وهو شخص من اب تركي و ام جزائرية .

[3] بناه حسن باشا سنة 1573، في الموقع الذي أقام عليه الإمبراطور شارل الخامس مقر قيادته عام 1541 للاستيلاء على مدينة الجزائر. **أنظر**: الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 93.

[4] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق،محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص116.

[5] سيتم التطرق إليه في الفصل الثالث.

[6] جاءت هكذا بالفرنسية:Poudrière mozabite. **أنظر**: حاج موسى بن عمر، المزابيون في العهد العثماني، المرجع السابق ،ص132.

عدد من الحمامات بالجزائر العاصمة إلى اليوم ملكا للمزابيين، بالإضافة إلى منحهم صفة العضوية الكاملة والدائمة لأمينهم بمدينة الجزائر لحضور المجالس الاستشارية[1].

وأورد ناصر الدين سعيدوني كذلك أن حكام الجزائر منحوا للمزابيين منذ قرون امتيازات خاصة مثل إدارة الحمامات والطواحين، والاشتغال بالخبازة والقصابة وصناعة الحلوى، ويدفعون لأمين المزابيين إتاوة شهرية مهمة يقدم منها ما يسمى بالعوائد إلى الخزينة العامة[2].

نستنتج من خلال ما سبق أن العلاقة بين السلطة العثمانية والمزابيين في الشمال كان يسودها الاحترام والتعاون، ولعلها تعتبر من بين أهم الأسباب التي أدت بالسلطة العثمانية إلى منح المزابيين الثقة الكاملة في تسيير شؤونهم بمنطقة واد مزاب (غرداية) مع ضمان الولاء للسلطة، كما شهدت حوادث تلك الفترة وقوف الحكام العثمانيين بالجزائر في وجه حكامهم في البايلكات إذا تعلق الأمر بالتعدي على بني مزاب وهذا ما سنتناوله في الفصل الموالي.

[1] الشيخ القرادي المرجع السابق، ص 176.

[2] ناصر الدين سعيدوني النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 41 .

الفصل الثاني: العلاقات السياسية بين مزاب والسلطة العثمانية

المبحث الأول: مجلس واد مزاب الأعلى والسلطة العثمانية.

المبحث الثاني: حملة يحي آغا على مزاب.

المبحث الثالث: قضية صالح باي قسنطينة.

المبحث الأول: مجلس واد مزاب الأعلى والسلطة العثمانية

أولا: الاتفاقات كمصدر لدراسة تاريخ مزاب

أول ما يعترض الدارس لتاريخ منطقة وادي مزاب، في الفترة الحديثة هو ندرة المادة الوثائقية التي تعتبر أغنى المصادر وأثراها عن الحقبة المدروسة، فدواوين الشعر ووصف الرحالة لا يسمح لنا برسم صورة واضحة للحياة اليومية بالمنطقة، وبالتالي فإن أهمية الاتفاقات تكمن في طبيعة المادة التي تحويها، وتنوع الموضوعات التي تتعلق بها، وطول المدة الزمنية التي تغطيها، حيث يعود أقدم اتفاق تم العثور عليه إلى سنة 807هـ/1405م[1]، وهي تعرف باسم الاتفاقات. حيث تسمح لنا دراستها برصد التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على مستوى مجتمع واد مزاب[2].

يعود الفضل للفرنسيين في السبق بالحديث عن هذه الوثائق التاريخية المهمة ونشر نسخ منها، فقد نقل دوفيرييه (Duveyrier) أحد قوانين مدينة غرداية في رسالته إلى والده عن رحلته إلى بعض حواضر الجنوب الجزائري فيما بين شهري جويلية وسبتمبر 1859م، ثم نشر أوكابيتان (Aucapitane)سنة 1868م بعض القوانين الخاصة بمدينة غرداية، ونص اتفاق خاص بمجلس وادي مزاب. كما أورد روبان (Robin) بعضا منها سنة 1884م، مع دراسة للهيئة التي وضعتها[3].

أما إميل ماسكوراي (Emile Masqueray)، فقد تحدث عن نسخ سجلات الاتفاقات التي تمكن من الحصول عليها بعد جهد كبير، وذلك سنة 1878م، –أي قبل السيطرة الفرنسية المباشرة على منطقة واد مزاب– حين قدم إلى واد مزاب في إطار المهمة الأركيولوجية والأنثروجغرافية التي كُلّف بها من طرف وزارة التعليم العمومي بباريس. وفي مقدمة تحقيقه للمخطوط الإباضي "سير

---

[1] عيسى بعمارة، مرجع سابق، ص14.

أنظر كذلك:

Milliot L. & Giacobetti, op. cit, clichés n° 1-3.

[2] ناصر بلحاج، الاتفاقات كمصدر لدراسة تاريخ مزاب العهد الحديث، المنهاج، جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، العدد الأول، غرداية الجزائر، محرم 1433هـ/ نوفمبر 2011م، ص 76.

[3] نفسه، ص 77.

أبو زكرياء"[1] قال عن سكان وادي مزاب وعن نظمه ما يلي: "المزابيون هم أكثر الناس سرية في العالم، كل ماضيهم وحاضرهم محتوى في مخطوطاتهم القديمة وفي سجلات قوانينهم الموجودة بين أيدي رجال دينهم العزابة"[2].

وفي سنة 1830م قام كل من ميليو وجياكوبيتي (Milliot. L & Giacobetti. A) بترجمة لعدد معتبر من اتفاقات وادي مزاب[3].

---

[1] كتاب سير الأئمة وأخبارهم يهتمُّ بسير المشايخ من أهل المغرب بخاصَّة، وتاريخ الرستميّين ومن تولَّى مسؤولية الإباضية بعدهم. يعرف أيضا بتاريخ أبي زكريا، ألّفه يحي بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارجلاني أبو زكرياء (ت: 471 أو بعد 474هـ/ 1078 أو بعد 1081م)، هو أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني، ولد في وارجلان بالجزائر. ينسب الوسياني أخاه أبا يحي زكرياء بن أبي بكر إلى بني يهراسن، ويذكر جدَّه بسعيد، فهو إذن: "يحي بن أبي بكر بن سعيد اليهراسني الوارجلاني"، صاحب كتاب «سير الأئمة وأخبارهم» ، عليه اعتمد كلُّ أصحاب السير والطبقات الإباضية، مثل: الوسياني، والبغطوري، والدرجيني، والشمَّاخي، وعن كتابه يقول الوسياني: «له فضل السبق في هذا، لم يأل خيرا برأفته وهمَّته وفراسته».

تلقَّى العلم في وادي أريغ عند الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي. روى عنه أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي، وكانت له حلقة علم، ربما كانت تعقد في المحضرة القديمة بآجلو بوادي أريغ.

يذكر المؤرخون أن له أجوبة وفتاوي في علم الكلام، ورسائل في الفقه، يبدو أنها فقدت. إلاَّ أننا نجد بعض العلماء يستشهدون بأقواله وآرائه الكلامية، منها ما ذكره أبو سهل يحي بن إبراهيم في بداية كتابه في العقيدة.

ترجم الجزء الأوَّل من كتابه وحقَّقه المستشرق الفرنسيَّ «إميل ماسكراي» (E. Masqueray) ونشره باللغتين الفرنسية والعربية عام 1878م، **أنظر**:

Masqueray Emile, Chroniques d'Abou Zakaria, imprimerie de l'association ouvrière v. Aillaud et c, Alger, 1878.

ثمَّ ترجمه «Le Tourneau» كاملا، ترجمة أدقَّ وأشمل؛ ومن هنا كانت شهرته؛ ثمَّ حظي بعد ذلك بتحقيقين وأربع طبعات.

أنظر: المكتبة السعدية، مكتبة إلكترونية، تاريخ الإطلاع: 2022/08/20، الساعة:19:30، رابط المكتبة: https://alsaidia.com/node/92

[2] ناصر بلحاج، الاتفاقات كمصدر لدراسة تاريخ مزاب، المرجع السابق.ص77.

[3] نفسه، ص78. **أنظر كذلك**:

Milliot L. & Giacobetti A., op. cit. -

ثانيا: اتفاقات المجلس الأعلى مع العثمانيين

لقد كان للمزابيين أو بالأحرى للمجلس الاتحادي تفاهمات واتصالات مع العثمانيين في الجزائر، وهذا دائما في إطار تبعيتهم واعترافهم بسلطة الإيالة، من هذه الاتصالات والاتفاقات ما سنعرضه في هذه الصفحات مع شيء من الشرح، على أن يتم شرح أبرزها بالتفصيل في المباحث اللاحقة. قبل أن ندخل في السرد لابد أن نطرح بعض الإشكاليات الجزئية، منها: هل هذه الاتفاقات موجودة بكثرة؟ وهل يوجد ما فقد منها؟ هذا ماسنحاول الإجابة عنه من خلال هذا العرض.

من بين أهم الاتفاقات وأولاها هي ما يمكن أن نطلق عليها إسم معاهدة الحماية الأولى[1] وهي كما يصورها الشيخ علي يحي معمر، أنه عندما دخلت الجزائر تحت الحكم العثماني كان الإباضية الذين يسكنون بلاد واد مزاب[2] يفكرون –كسلطة–[3] في موقفهم تفكيرا عميقا، هل ينضمون تحت لواء هذه الدولة، أم أن يبقوا على الوضع الذي كانوا عليه –مستقلين في جميع شئونهم– لا يتبعون دولة أو إمارة، ولا يعلنون عن دولة لأنفسهم، وفكّر القوم فيما يبدو تفكيرا طويلا واستعرضوا حالتهم في ذلك الحين، وقارنوا بين حياتهم تلك وبين الانضواء تحت جناح هذه الدولة المسلمة القوية الجديدة، والاحتماء بها، وما يتوقعون أن يكون لهم في ذلك من أمن وسلام. ولا شك أن الآراء اختلفت وأن الجدل كان محتوما وأن اجتماعات كثيرة قد انعقدت لدراسة الموضوع. غير أن ذلك الجدل وتلك الاجتماعات والمناقشات التي جرت فيها والمقارنة بين عهدين أحدهما ماضي معروف

---

[1] كما أوردها الشيخ علي يحي معمر في بنود الاتفاقية، بقوله "وأن تتعهد الدولة العثمانية بحمايتهم أفرادا وجماعات في بلدانهم وفي جميع بلادها". أنظر: علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مراجعة الحاج سليمان بن الحاج ابراهيم بابزيز، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط3، السيب، سلطنة عمان، 1429هـ/2008م، ح4: الإباضية في الجزائر، ص 241.

[2] العلاقة بين المذهب والعرق علاقة تلقائية مفروضة في واد مزاب، فكل مزابي هو في الأصل على المذهب الإباضي، وكل إباضي مغربي جزائري يكون مزابيا بشكل تلقائي، إلا في حالات نادرة، كنزول أحد الإباضية الغير مزابيين في واد مزاب، أو تخلي أحد المزابيين عن المذهب الإباضي.

[3] السلطة المحلية المستقلة في تسيير شؤونها، وتتمثل في مجلس واد مزاب الأعلى، أعلى سلطة روحية وتشريعية وتنفيذية وقضائية.. عند المزابيين في واد مزاب. **أنظر**: تعريف المجلس في الفصل الأول، المبحث الثاني.

والآخر مستقبل مجهول..، قد أسفرت جميعها على أن الالتجاء إلى الدولة والاحتماء بها كان أقوى، فمالت إليه الأغلبية وأيدته العناصر التي بيدها الحل والعقد. فقررت الاتصال بالدولة العثمانية والاتفاق معها قبل أن تتحرك هي نفسها للاستيلاء[1].

وقد تم ذلك فعلا، فذهب وفد –مخول بصلاحيات كاملة للاتفاق– إلى مدينة الجزائر، وقد استطاع ذلك الوفد أن يعقد مع الدولة الحاكمة اتفاقية تشتمل على عدة بنود لعل أهمها أن تسمح للإباضية أن يزاولوا أعمالهم الحرة في كل المدن والبلدان التي تقع تحت نفوذ الدولة العثمانية. وأن تتعهد الدولة العثمانية بحمايتهم أفرادا وجماعات في بلدانهم وفي جميع بلادها على أن يدفعوا لها خراجا سنويا معينا حددته المعاهدة[2].

وقد تم الاتفاق على المعاهدة وأصبح المزابيون تحت النفوذ العثماني لكنه نفوذ شكلي لأنه لا شيء يمثل الدولة العثمانية في بلادهم وحتى الخراج أو الضمان المتفق عليه بينهم فإنهم هم الذين يتولون جمعه بأنفسهم ثم يوصلونه إلى الإيالة دون أن تتكلّف تعبا ودون أن تطأ قدماها أي جزء من تربتهم، ولم تحاول الدولة رغم العهد الطويل الذي بقيت فيه أن تغير من بند الحماية إلا ما حاوله أحد ولاتها من ضم واد مزاب إلى ولاية وهران[3] فاعترضوا ولم تنجح المحاولة[4]. وللعلم فإن هذه الاتصالات مع العثمانيين لم تبدأ من الصفر أو من عدم، وإنما كانت نتاج بروز قيمة المزابيين أمامهم على الصعيدين العسكري والاقتصادي، فحسب الشواهد التاريخية فإن العلاقة بين الطرفين كانت قد بدأت من تونس وتحديدا من جزيرة جربة، وذلك بين المزابيين الذين كانوا يرتادونها والإخوة بربروس، وذلك حين أغر الإسبان على الجزيرة سنة 1510م، حيث شارك بنو مزاب بقيادة أحد أعيانهم وهو

[1] علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ..، المرجع السابق، ص 241.

[2] لا توجد هذه المعاهدة بحد ذاتها في يومنا هذا، وإنما ذكرها فقط وذكر ما جاء فيها، ولربما ستظهر يوما ما.

[3] للملاحظة، فإن هذه المعلومة –محاولة ضم واد مزاب إلى ولاية وهران– وجدناها في كتاب الإباضية في موكب التاريخ فقط. **أنظر**: علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ..، المرجع السابق، ص 242/241.

[4] نفسه.

الشيخ بحيو بن موسى، قادما وفرقته من مدينة الجزائر –حسب الأرجح– حيث شاركوا في مواجهات حاسمة، وصف في منظومته[1] هولها ومجرياتها[2].

– سأل الشيخ علي يحي معمر الشيخ إبراهيم أبي اليقضان[3] عن حالة إباضية الجزائر مع الدولة العثمانية، فأجاب قائلا: "إنها حالة مسالمة وتقدير للوضع الذي كان لهم في الاقتصاد الجزائري وكل الطرفين مسالم للآخر، إلى أن وصل النفوذ التركي في الأغواط بالجنوب على يد صالح باي، وعلى يده وقعت مفاوضات بينه وبين أهل واد مزاب في تحديد العلاقات بين الدولة التركية وبين وادي مزاب على أسس ترمي إلى الاعتراف بوجود مزاب كما هو، ومسالمته في نظمه وآدابه على أن يدفع مقابل ذلك للدولة التركية اثني عشر عبدا واثنتي عشرة أمة. وأشياء أخرى في كل سنة كما فصل ذلك في كتاب (عثمان باشا) لتوفيق أحمد المدني، وعلى هذه الأسس وقعت معاهدة بين فرنسا ومزاب سنة 1853. ومن أبرز العلاقات بين الدولة التركية ومزاب: رسائل وقصائد الشيخ الحاج ابراهيم بن بحمان الذي ذكرناه آنفا يخاطب به ملوك الدولة فيما بين عام 1200هـ وعام 1207هـ كما هو مخلد في ديوانه المخطوط وكان له أثر محمود في أوساط الدولة وبني مزاب في ذلك الحين"[4].

---

[1] حمو محمد عيسى النوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد الأول، ص224-225.

[2] ناصر بلحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص142.

[3] إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان، من العلماء الأعلام في القرارة بمزاب، تعدَّت شهرته الحدود الوطنية؛ بدأ مشواره العلمي بالكتَّاب في مسقط رأسه بالقرارة، حيث حفظ القرآن، واستظهره عند الحاج إبراهيم بن كاسي، ثم درس في معهدي الشيخ الحاج عمر بن يحي، والشيخ الحاج إبراهيم الابريكي. ونظرا لظروفه العائلية والمادية، اضطرَّ للسفر إلى مدينة باتنة للعمل في التجارة، ولكنَّ نفسه التوَّاقة للعلم والمتفانية في حب مصاحبة العلماء، جعلته يعود إلى مجالس العلم والعلماء، حيث انتقل إلى معهد قطب الأيمة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، في بني يسجن بمزاب سنة 1325 هـ / 1907م، وكان من أبرز تلامذته؛ ورافقه في الدراسة بهذا المعهد كلٌّ من: الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، والشيخ سليمان الباروني النفوسي الليبي، والشيخ إبراهيم ابن بكير حفَّار... وغيرهم كثير.، ترك الشيخ العديد من المؤلفات المهمة، أحصيت في حوالي 60 عنوانا في مختلف الفنون. **أنظر**: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، رقم الترجمة 042.

[4] علي يحي معمر، المرجع السابق. ص242.

ومن بين الاتفاقات (ولو أنها شفوية)[1]، تجديد المزابيين ولاءهم للسلطة العثمانية بواسطة صالح باي قسنطينة لما قاد حملةً للجنوب الجزائري[2]، لكن هذا الأخير كانت نيته إلحاق مزاب لصفه، فأقدم المجلس الأعلى لواد مزاب على مراسلة الداي حسن الدولاتلي داي الجزائر حينها، وكانت المراسلة على شكل ثلاث رسائل، الأولى للداي في طلب الانتصاف وتبيين نوايا باي الشرق له، والثانية بعد تنحية صالح باي وقبول طلب المزابيين، وهي عبارة عن رسالة شكر وثناء، والثالثة هي لصهر الداي المسمى الحاج علي، كذلك للثناء عليه لجميل صنعه، بحيث كان الوسيط بين الداي والمزابيين؛ وكاتب هذه الرسائل الثلاث هو الشيخ إبراهيم بن بحمان كاتب مجلس واد مزاب الأعلى. وسيأتي تفصيل لأحداث هذه القضية في مبحث خاص[3].

ومحمد الكبير بن عثمان الكردي ولاه محمد عثمان باشا بايا على وهران سنة 1779، هذا الرجل الذي سطّر صفحات مجد وفخار في تاريخ الجزائر، فهو الذي طرد الإسبان نهائيا من وهران بعد ثلاثمائة سنة من احتلالها. ومن أعماله التي اشتهر بها، حملته للجنوب الجزائري بعد تمرد بعض زعماء القبائل على السلطة المركزية فقد قال عنها أحمد بن هطال التلمساني في كتابه رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ما يلي: "وأهم غزواته التي قام داخل البلاد هي غزوة الجنوب الصحراوي الجزائري التي جهز لها جيشا عرمرما ونزح به من معسكر مارا بجبل عمور والبيضاء وأفلو والطويلة إلى أن وصل مدينة الأغواط حيث دخلها بقوة هائلة ونشاط متزايد فانقاد له جميع القبائل التي بضواحيها بما فيها مزاب، واعترفوا كلهم بدولة الأتراك في القطر الجزائري،

[1] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 138.

[2] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا..، المرجع السابق، ص 137.

[3] سيتم التفصيل في القضية أكثر في المبحث الثالث من الفصل الثاني.

ورضوا أن يؤدوا لها الضرائب السنوية عن طيب نفس. وقد وقعت هذه الغزوة سنة 1199هجرية"[1] 1785 ميلادية[2].

إضافة إلى المراسلات التي كانت بين المزابيين والسلطة العثمانية رسالة إلى الداي علي (1122-1130هـ/ 1710-1717م) أرسلها المجلس الأعلى لواد مزاب إلى الداي من أجل إنصاف بني مزاب في العاصمة بعدما تعرضوا لمضايقات من طرف السكان عند ذهابهم إلى المساجد حيث يصفونهم بالكفر وعدم الإيمان لا لشيء إلا أنهم على المذهب الإباضي وذلك لاختلافات فقهية (مثل الصلاة)، تفاصيل الرسالة جاءت كما يلي:

استهلت الرسالة[3] بقصيدة شعرية تحتوي على 19 بيتا نظمها الكاتب، حيث يصف فيها عظمت وقوة السلطة العثمانية فيقول:

" أعلى الإلاه على الأعداء كلمته وسدد الله[كذا] يحاضرها

كذا عساكرها اسد العرين أشبالهم مثلهم فالله ناصرها

... يمشون في حربهم مشي الجمال إذا فر الجبان فهم فيها مساعرها

ونجد أيضا في الرسالة بعض الأبيات التي تدل على الولاء للسلطة والاعتراف بها:

رأيهم واحد أميرهم واحد لا تشرك الرأي إلا من يوازرها

فالله ينصرهم والله يكلؤهم دامت سعادتهم محت سرائرها

---

[1] أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح وتق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، ط1، القاهرة يونيو 1969، ص18.

[2] حمو النوري، دور المزابيين..، المرجع السابق، ج1، ص 227-228.

[3] مجهول، رسالتين، خزانة الشيخ عبد الرحمن بكلي (البكري)، العطف، غرداية، الرقم في الفهرس، د. غ96. **أنظر كذلك**: من جماعة بني مزاب، رسالة إلى الداي علي، الخزانة العامة، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، رقم300 (د. غ94).

بعد نهاية القصيدة جاء نص نثري حاول فيه الكاتب نقل الشكوى إلى الداي وتوضيح المضايقات التي يتعرض لها بني مزاب جاء فيها: "ثم انظر أيها الأمير أنت واصل خاصتك من كل كاتب ووزير وخازن وخبير وكل عالم تحرير... انظروا بالبصيرة فيما جرى في بني مزاب من عظيم الإفك والشتم والسباب. وانتصفوا للمظلوم من الظالم"

بعد ذلك حاول توضيح ما جرى لبني مزاب، "وأما ما نقمتم على بني مزاب من ترك الحضور في الجمع والجماعات في المساجد ومكان الاستجابات... غير أنهم قالوا إذا دخلنا المسجد للصلاة جعلوا يشتغلون بنا ويسمعوننا كلام الجفاة".

اختتمت الرسالة بعبارة تهديد إذا لم ينصف الداي جماعة بني مزاب، وهي إشارة ربما لمكانة بني مزاب في مدينة الجزائر، كما نجد في عباراته الثقة بأي قرار يتخذه الداي، "فإن لم تاخذوا حقّهم فسرحوهم ليخرجوا وأرض الله واسعة فلا تحرجوا ".

المبحث الثاني: حملة يحي آغا إلى واد مزاب

تعتبر حملة يحي أغا على واد مزاب من أول الحملات العثمانية التي وصلت إلى المنطقة وذلك في النصف الثاني من القرن 16 وبالتحديد في ديسمبر 1563م في عهد الحسن بن خير الدين، وقد تعدد أهداف هذه الحملة وغيرها من الحملات على المناطق الداخلية التي كان يقودها حكام الإيالة منها ما هو لتأكيد وضمان الولاء من خلال جمع الضرائب ومنها ما هو ردعي (حملات إخضاع الممتنعين عن أداء الضريبة). فما هو هدف المحلة التي قادها يحي أغا إلى منطقة وادي مزاب؟ هل انطلقت الحملة بهدف جمع الضريبة المفروضة على سكان المنطقة؟ أم هي ردعية بسبب امتناعهم عن أداءها؟ أم أنها تحمل أهداف خفية وراء ذلك؟

تتوفر حول الموضوع ثلاث رسائل في غاية الأهمية والغموض، يمكن من خلال دراستها الإجابة على هذه التساؤلات. ويوجد في الدراسة التي قام بها الدكتور بالحاج ناصر عرض لهذه الرسائل بشكل مفصل إذ يقول "تم الاعتماد على النسخة "أ" كنسخة "أم" بلغة أهل التحقيق، نظرا لمتانة ودقة عمل صاحبها[1]، وهو الناسخ "سعيد بن قاسم البوعلي [الجربي]"[2].

---

[1] بالحاج ناصر، النظم والقوانين...، مرجع سابق، ص151.

[2] سعيد بن قاسم بن عمر بن قاسم بن أحمد البوعلي الجربي، ناسخ محترف ومتميز، بدليل كثرة منسوخاته، والتي تتوزع على عديد من خزائن المكتبات الخاصة بوادي مزاب. وواضح أنه إباضي المذهب من خلال نص تمليكة خاصة بابنه محمد الذي زار وادي مزاب، في مخطوط موجود بمكتبة الاستقامة ببن يزقن، بعنوان: "مجموع متنوع وفيه قصص"، للمجهول، رقمه: 305، جاء فيها: "وقف لله تعإلى لجامع بني اسجن متاع محمد بن سعيد ابن بوعلي من والغه [كذا] ". كما جاء في نص وقفية لمخطوط "الدلائل على اللوازم والوسائل"، لدرويش بن جمعة بن عمر المحروقي الأدمي (ت. 1086هـ/ 1676م): "الحمد الله سبحانه، قد حبس ووقف هذا الكتاب المبارك محمد بن سعيد الجربي لمن يقرأ فيه من أبناء جنسه لوجه الله العظيم". فلو كان ابنه على غير المذهب الإباضي، لما وقف كتبه الإباضية المساجد الإباضية.

طال نسخ الشيخ سعيد بن قاسم مختلف الفنون، ففي خزانة الشيخ محمد ببانو بمكتبة حاج صالح لعلي، بمدينة بن يزقن – غرداية – الجزائر، يذكر من منسوخاته ما يلي: في علوم القرآن: "القول في الوقف والابتداء في كلاّ" لأبي محمد مكّي، رقم: 35، وفي فقه المعاملات: "اقرب الطرقات في قسمة المحاصيل وتوزيع التركات" لمحمد بن علي الشبرملسي (ت. 1021هـ/ 1612م)، الرقم: 230، وفي علوم اللغة: "مختار الصحاح" أ بي بكر عبد القادر الرازي (ت. 721هـ / 1321م)، الرقم: 600 ، "به حاشية مطولة للناسخ، وفي الخزانة العامة مكتبة الشيخ عمي سعيد بغرداية، في العلوم
الرياضية. كشف الأسرار عن علم حروف الغبار" لعلي بن محمد القلصادي الاندلسي (ت. 891هـ/ 1487م)، الرقم: 355. وفي مكتبة آل فضل بين يسقن: الشرح أبي مقرع في الفلك"، الرقم: 432.

العديد من الوثائق، والذي نسخ الرسالة في النصف الثاني من القرن 11هـ. أما النسخة "ب" فقد نسخت سنة 1074هـ- أي في نفس الفترة- من طرف "عيسى بن يوسف المصعبي"[1]، كما أن النسخة الاولى تحتوي على ذكر قائد الحملة على واد مزاب في الديباجة، بينما النسخة الثاني لا تحتوي على ذلك، وتكتفي بنص الرسالة فقط. أما النسخة "ج" فهي منسوخة حوالي 1311هـ من طرف الشيخ بكير بن ابراهيم بن بكير اليسقي[2].

في بداية النسخة "أ" ذكر أنّ الرسالة كتبت من طرف "بعض العزابة"، لكن النسخة "ب" يرجح أن الشيخ "أبي مهدي عيسى[3]"هو من كتبها باسم العزابة، نظرا لمكانة الشيخ أبي مهدي في وادي مزاب. وجهت الرسالة إلى "القائد يحي شهر كاهيا التركي"، فقد كان قائد للإنكشارية، ثم قائدا على مليانة لمدة طويلة نظرا لكفاءته ، تولى زمام الحكم مؤقتا[4] بعد "أحمد باشا" في بداية سنة 1562م[5]. لم تذكر المصادر الكثير عن هذا القائد، ولا عن أهم أحداث الفترة التي سير فيها شؤون

ومن أدلة تمكنه وسعة اطلاعه على بعض الفنون، إضافاته أو الحواشي إلى يضعها على الكتب التي ينسخها كما ذكر آنفا.

[1] عيسى بن يوسف المصعبي، لا يعرف عنه الكثير، لكن من الواضح أنه من مزاب كما تدل عليه نسبته "المصعبي"، لكنه لم يكن ينسخ في مزاب ربما ذلك أن عرف النساخ آنذاك ، أنهم يذكرون نسبتهم "المصعبي" عندما يكونون خارج موطنهم الأصلي. لديه العديد من المنسوخات في بعض مكتبات مزاب، ففي خزانة الشيخ محمد ببانو بمكتبة الحاج صالح لعلي، بمدينة بن يزقن – غرداية، يذكر مثلا: في الفقه: قصيدة في "تحريض الطلبة" للشيخ أبي مهدي، الرقم: 116. "موازن القسط"، قصيدة للشيخ أبي مهدي عيسى، الرقم: 170. "أسئلة الشيخ سعيد بن علي الجربي" قصيدة كذلك، الرقم: 235.

[2] الشيخ بكير بن ابراهيم بن بكير قضي اليزقني: كاتب وملازم للشيخ الحاج صالح لعلي (ت. 1347هـ/ 1928م)، وهذا الأخير أحد كبار علماء وادي مزاب. معظم مؤلفات هذا الشيخ من نسخ الشيخ بكير بن ابراهيم الذي كان فقيها، فقد كان العضد الأيمن للشيخ صالح. من منسوخاته مثلا: في خزانة الحاج سعيد محمد بغرداية: "مختصر كتاب الألواح" للشيخ عبد العزيز الثميني ت 1223هـ/ 1808م، الرقم: 63. وفي خزانة الشيخ محمد ببانو بمكتبة الحاج صالح لعلي، بمدينة بن يزقن – غرداية- ، يمكن ذكر ما يلي: في العقيدة وأصول الدين: "السؤالات" للشيخ عثمان بن خليفة السوني المارغني، الرقم: 110. أما في التاريخ: "سير الوسياني"، لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حيان بن عبد الله الوسياني، الرقم: 657. سيرة وأخبار الأئمة"، لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني، الرقم: 662. وكذلك في مختلف الفنون الأخرى، لديه العديد من المنسوخات.

[3] ابي مهدي عيسى، مجلة المنهاج ، ع 2 ، ص111.

[4] في انتظار قدوم "حسن بن خير الدين باشا" حتى يصل إلى الجزائر في سبتمبر سنة 1562. أنظر: بالحاج ناصر، النظم والقوانين..،مرجع سابق، ص 152.

[5] بالحاج ناصر ،علاقة اباضية وادي مزاب بالعثمانيين في ايالة الجزائر من خلال رسائل ابي مهدي عيسى إلى يحي أغا، المجلة التاريخية العربية ، تونس ،ع47، تشرين الاول 1435هـ/أكتوبر 2013م، ص124.

الإيالة، حيث طبعها الهدوء حسب هايدو (Haedo)[1]، كما أن المصادر لم تذكر اسمه لاحقا في ظل حكم الباشا حسن[2].

ذكر في الرسالة تاريخ وصول الحملة التي قادها القائد يحي إلى وادي مزاب، وذلك في شهر جمادى الأولى من سنة 971هـ، و يوافقه شهر ديسمبر 1563م. يعني هذه الحملة جاءت خلال حكم الباشا حسن بن خير الدين، لكن لم يذكر فيها تاريخ كتابتها، نحاول ذكر بعض الاحتمالات التي من شأنها رفع أو توضيح الغموض.

أولا: لم ترد هذه المحلة في أي من المصادر المعروفة والقليلة عن هذه الفترة، كما أن المصادر المعروفة عن تاريخ الجزائر العثمانية لا تذكر كل الحملات التي قام بها حكام الإيالة أو من ينوبهم إلى المناطق الداخلية للبلاد ، ومن بينها حملة القائد يحي على وادي مزاب في عهد الباشا حسن[3]. وتأكيدا لذلك فقد جاء في مخطوط تقييد "فتن في كافة قصور مزاب"[4]، والذي ينسب إلى الشيخ يوسف بن حمو بن عدون أنه في سنة (1154هـ/ 1741م) شهد وادي مزاب "محلة السلطان العصملي" والمقصود هو "العثماني"، كما ذكرها أيضا القاضي بوفارة[5] مع قليل من الشرح غير الوافي، لكن الوثيقة لم تقدم تفاصيل أخرى حول هذه المحلة، كما لم تذكر المصادر الأخرى معلومات عنها.

ثانيا: إذا كان تاريخ الرسالة (سنة 971م توافق سنة 1563م) حقيقي، فإن الحملة كانت في عهد الباشا حسن بن خير الدين، لكن لماذا لم يراسل بنو مزاب الباشا حسن، وراسلوا القائد يحي مثلما فعلوا في قضيتهم مع صاحب بايليك الشرق بعد ذلك[6]، حيث راسلوا داي الجزائر في شأنه؟

---

[1] Haedo Diego de, Histoire des Rois d'Alger, Op. Cit, p126.

[2] بقي يحي أغا معززا مكرما، إلى أن مات بعد إصابة في رجله في إحدى الحملات التي شارك فيها في مدينة تونس، أقامت له ابنته قبة إلى جوار السلاطين في باب الواد بالجزائر. **أنظر**: بالحاج ناصر، علاقة إباضية..، مرجع سابق، ص124.

[3] بالحاج ناصر، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص153.

[4] مخطوط بيان التواريخ للشيخ يوسف بن حمو بن عدون اليسجني، خزانة مكتبة إروان تجنينت. العطف: إ.تا/د. غ 151.

[5] محمد بن براهيم بوفارة ، مجموع مخطوط، نسخة مرقونة ، نقلت من نسخة مصورة لمخطوط محفوظ بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم 2342، جوان 2000 ، ص ص 26.25.

[6] المقصود هنا حملة صالح باي قسنطينة ، سيأتي ذكرها بالتفصيل في المبحث الثالث من الفصل الثاني

ثالثا: إذا كانت حملة يحي أغا قد جاءت في فترة كان فيها الباشا حسن بن خير الدين منهكا من تحرير وهران، و التي لم يستطع تحريرها، حيث عاد منها في شهر جوان 1563، فهل يمكن لحسن باشا أن يفكر في إرسال حملة إلى منطقة مزاب وهو في حالة من الوهن، إضافة إلى الخلاف الذي كان بينه وبين الانكشارية، حيث سوف يبعد من الحكم ويأخذونه مكبلا إلى اسطمبول[1]؟ فما هو التفسير الحقيقي لهذه الحملة[2]؟

نعود إلى النص من أجل توضيح بعض الغموض، جاء في بدايتها: "هذه رسالة أرسلها بعض العزابة إلى القائد يحي شهر كاهيا التركي إذ أتى إلى جبل بني مصعب في شهر جمادى الأولى سنة أحد وسبعين وتسع مائة، وأخذ من بني مصعب عشرين ألفا ذهبا وفضة "ورأوا منه شدة عظيمة"، من هذه الفقرة يظهر، أن القائد يحي قاد الحملة إلى المنطقة من أجل جمع "ضريبة"، قدرها "عشرين ألفا ذهبا وفضة"، وقد أخذها بشيء من القوة والشدة كما يبدو من قوله "ورأوا منه شدة عظيمة". بما أنه التجأ إلى القوة، فهل يمكن أن يكون بني مزاب رفضوا أو لم يؤدوا الضريبة؟ أم أنهم تأخروا في دفعها؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل قاد حاكم الإيالة هذه المحلة على وادي مزاب –وغيره ربما– لتعويض ما خسره في الحملة الفاشلة على وهران[3] بدليل أمره "بتكثيف عمليات القرصنة"[4]، وهل تحرك القائد يحي آغا بأمر من حسن بن خير الدين أم هو تصرف شخصي؟ علما أن المزابيين كانت لهم تضحيات معتبرة في مدينة الجزائر في فترة قريبة من تولي حسن بن خير الدين الحكم، مثل رد حملة شارلكان على الجزائر 1541م، وهذا قد ضمن ولاءهم واعترافهم بالسلطة العثمانية، فلماذا تصرف القائد يحي بهذه الطريقة القاسية معهم؟

ثم يواصل في رسالته ما يلي: "..ثم طعن في مذهب الوهبية وقال المذاهب أربعة وذلك مما يسمع من بعض الأشواط [كذا] الطاعنين في دين المسلمين فكتبنا لهم بهذا ونصه بسم الله الرحمان

---

[1] وولف جون بول، الجزائر وأوربا، ترجمة: سعد الله أبو القاسم، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص113.

[2] بالحاج الناصر، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص153.

[3] نفسه، ص154.

[4] عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار الهومة، الجزائر، 2005، ص 88.

الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم. إلى أرباب النعم ومنابت الكرم ذوي التجاويد على أهل الهمم منهم الأمين السخي المتفضل العلي أبو زكرياء يحي باي حفظه الله وهداه إلى النظر إلى رضاه، السلام عليك ورحمة الله وبركاته من بعض الطلبة يريد لك الهداية الى الطريق القويم صراط الله المستقيم، قال لي رجل كان في الجزائر أفضل ما لقيت في تلك البلاد من السلاطين والعمال الأمير(...) ولكني أيها السيد في هم وغم مما سمعته أن بعض الأشواط [كذا] يلقون وقلبك وفي قلوب العباد أن بني مصعب ليسوا على عقيدة صحيحة ولم يقلدوا أحدا من الأئمة وأنهم ينكرون الصحابة ولا يصلون الجمعة إلى غير ذلك من الطعن في المسلمين، فساءني ذلك وقلت لابد من إظهار ما عندنا إلى الأمير أبي زكرياء حفظه الله. أما عقيدتنا فنحن نشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له القيوم الأزلي الحي القيوم".

لماذا طعن القائد يحي في مذهب الوهبية وقال "المذاهب أربعة"؟ وهل يعتبر هذا سبب مباشر لحملته؟ لكن يحي أغا بعد ما حقق هدفه المادي من الحملة، قام بالطعن في المذهب الإباضي، ربما لتبرير وإخفاء الهدف الحقيقي من الحملة؟ أما إذا كان هذا الموقف شخصي، فما هو موقف حكام الإيالة الآخرين من بني مزاب الإباضية؟[1]

من خلال ما تطرقنا إليه في الفصل الأول حول علاقة بني مزاب والعثمانيين بالجزائر طيلة حكمهم بها، فإن موقف "القائد يحي" يمكن اعتباره موقفا مختلفا عن سيرة حكام إيالة الجزائر تجاه بني مزاب، حيث يظهر أن الاختلاف المذهبي بين "العثمانيين الأحناف" و"المزابيين الإباضية" لم يكن مطروحا على مستوى العلاقات المتبادلة بين الطرفين، عكس بعض المواقف المتشددة من طرف بعض الشيوخ الذين كانوا يصفون بني مزاب الإباضية بالخوارج، مثل الشيخ بلقاسم الحدّاد الرحموني بقسنطينة الذي نعت بني مزاب نعوتا مشينة في إحدى قصائده[2].

[1] بالحاج ناصر، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 155.

[2] نشأ بقسنطينة وتربى بها على يد زوج أمه بعد وفاة أبيه الذي علمه الحدادة، وكان منكبا على نفسه بعد فقد بصره، امتاز شعره بشدة الانتقاد، قصيدته تعود إلى سنة 1217هـ **أنظر**: قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن

وقد راسل بنو مزاب حكام الإيالة عدة مرات في هذا الشأن، حيث توجد بالخزانة العامة بمكتبة الشيخ عمي سعيد[1]، رسالة من "جماعة بني مزاب" إلى الداي علي (1122-1130هـ/ 1710-1717م)[2] وهي بحوزتنا، اشتكوا فيها من المضايقات التي كانوا يلاقونها من عامة الناس عند ذهابهم إلى المساجد، حيث ينكرون عليهم كونهم على المذهب الإباضي[3]. وهذا ما أثبتته بعض المصادر الأجنبية كذلك، مثل توماس شاو (Shaw) الذي يذكر أن بني مزاب "نظرا لكونهم على المذهب الإباضي، فإنهم كانوا يمنعون من دخول المساجد"[4].

وقد وصف أيضا سيمون بفايفر ذلك بقوله: "والعرب والأتراك يستخفون بهم، ولا يعترفون بإسلامهم"[5]. وهذا ما دفع ببني مزاب طوال العهد الحديث إلى مكاتبة ومراسلة الحكام، لتوضيح حقيقة المذهب الإباضي، مثلما فعلوا مع القائد يحي آغا، كما سعوا للإجابة على السائلين والمستفسرين عن آراء الإباضية في الكثير من القضايا[6]، مثل ما كان يقوم به الشيح بحيو بن موسى، فيقول حمو عيسى النوري: "..كان يتصدى لكل من حدّثته نفسه بالطعن في الإباضية وتحكي عنه وقائع متعددة في هذا الميدان وقضيته مع الطاعن في المذهب الإباضي بمليكة مشهورة.."[7].

الثاني عشر للهجرة (من اواخر القرن 18 إلى منتصف القرن 19م) دكتوراه دولة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1998م، ص222.

[1] مجهول، رسالتين، خزانة الشيخ عبد الرحمن بكلي (البكري)، العطف، غرداية، الرقم في الفهرس: د.غ 96.

[2] ذكرت بالتفصيل في المبحث الأول من الفصل الثاني.

[3] بالحاج ناصر، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 155.

[4] Shaw Tomas, Voyage dans la régence d'Alger…Op. cit., p328.

[5] بفايفر سيمون، مذكرات..، نفس المرجع، ص 130.

[6] بالحاج ناصر، علاقة إباضية ..، مرجع سابق، ص126.

[7] حمو عيسى النوري، المرجع السابق، ج1، ص 80.

المبحث الثالث: قضية صالح باي قسنطينة

في عهد الداي محمد عثمان باشا وقع اول اتصال بين صالح باي[1] قسنطينة وبني مزاب عندما قاد محلة في سنة 1785م إلى الجنوب الجزائري لبسط نفوذ السلطة العثمانية، يقول أحمد توفيق المدني: "في سنة 1785 تحركت جماعة في جبال عمور وأعلنت التمرد والعصيان فجهز صالح باي حملة عتيدة وسار على رأسها سالكا طريق عين البيضاء وزنينة وافلو تاويالا والماضي وتاجموت... فعندما احتل صالح باي الأغواط، وخضع جبال عمور والصحاري وما حواليها – رأى جماعة مزاب أن لا مندوحة لهم عن الانضمام للسلطة المركزية الجزائرية، ورأوا أن يفعل ذلك طوعا واختيارا حتى تبقى لهم حقوقهم وامتيازاتهم فأرسلوا وفدا من قبلهم الى مدينة الأغواط عند ما حل بها ركاب صالح باي واعلنوا انضمامه للسلطة العامة الجزائرية ووقع الاتفاق بين الطرفين على أن تبقى مزاب حرة مستقلة في داخليتها"[2].

على كل، فقد ذكرت الكثير من المصادر ان بني مزاب كانوا على علاقة طيبة بالعثمانيين منذ دخولهم الجزائر[3]، وضمنيا هم راضون بسلطتهم ومعترفون بولائهم قبل تاريخ هذه الحادثة.

بعد هذا نقول أن بني مزاب أظهروا ولاءهم منذ البداية للسلطة العثمانية بطواعية بل كانت لهم مواقف سياسية مشرفة حتى الدخول الفرنسي إلى الجزائر ومنها ما كان في مدينة قسنطينة[4]. فلماذا تعرض لهم صالح باي بمثل هذه المضايقات؟ أم لم تكن لديه معلومات بخصوص ولاءهم؟ أم لأن لهم

---

[1] قيل أن مولده كان حوالي سنة 1725م وجاء إلى الجزائر سنة 1741م، أصله من بلد أزمير وكان رجلا عاقلا عارفا بالسياسة وأمور السلطة لأنه من الأقدمين في الأوجاق وترقى من مرتبة إلى مرتبة حتى بلغ منصب الباي الذي بقي على رأسه 22 سنة (1771-1791م)، وكان حسن السيرة وصاحب حق، أنظر :مؤلف مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، تح مختار حساني، الجزائر، منشورات دحلب، 1999 م، ص 49. وينظر كذلك :فاطمة الزهراء قشي، المدينة والمجتمع من أواخر القرن 18 م إلى منتصف القرن 19 م، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، 1998 م، ج 01 ، ص 105.

[2] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا..، المرجع السابق، ص ص 137-138.

[3] **أنظر**: المبحث الأول في الفصل الثاني

[4] لقد دافع بنو مزاب عن قسنطينة دفاعا مستميتا ، جعل القائد الفرنسي بعد سقوطها يرفع لهم قبعة التحية لبطولاتهم ، و يقال انهم اشترطوا بعد ايقاف اطلاق النار ان لا يسلموا سلاحهم ، ولا يدخل الجيش الفرنسي القسم الذي كانوا يدافعون عنه ، لنهب او انتهاك الحرمات ، ممّا جعل عائلات قسنطينة و البيوتات الكبيرة فيها يبعثون بكل نساءهم إلى تلك الأحياء ، فأصبحت رحبة الجمال ملجأ لعائلات وجهاء المدينة مدة استباحة المدينة لمدة 03 ايام . أنظر: يوسف حاج اسعيد، مرجع سابق ، ص97.

ثروة تجارية يستفيد منها في جباية الضرائب؟ خاصة في بايلك الشرق "قسنطينة" حيث تميزوا بنشاطهم التجاري، أم كانت له أهداف خفية أخرى؟

أولا: بداية الخلاف بين صالح باي و بني مزاب في قسنطينة

بعد تولي الباشا حسن الدولاتلي[1] (1791- 1798) سلطة إيالة الجزائر، تعرض بنو مزاب إلى موقف شديد من صاحب بايليك الشرق صالح باي (1771–1791)، حيث حدث خلاف بين هذا الباي وبني مزاب المستقرين بكثرة في مدينة قسنطينة الذين يعملون في التجارة، بسبب الضرائب الباهظة التي أصبح يبالغ فيها كثيرا[2].

وذلك من اجل أخذ ما استطاع من الأموال والهدايا عندما يسافر إلى الجزائر، وهذا لعرض حصيلة إنجازاته على الداي، والتي تعتبر دليلا على طاعته وتفانيه، وقد جرت العادة أنه عندما يدخل الباي من عين ربط إلى قصر الداي وهو يلقي الهدايا والدنانير على الجماهير المصطفة على حافتي الطريق؛ يقول أحمد توفيق المدني عن ذلك: "..في فصل الصيف من سنة 1207هـ. قدم صالح باي من قسنطينة وأتى معه بأموال لا تحصى ودخل الجزائر في يوم مشهود، ومن عين ربط وهو يوزع النقود على الفقراء في الزقاق حتى وصل لدار الإمارة، وأعطى الأمير وأهله مالا كثيرا من غير حصر، وليلة

[1] حكم حسن باشا من (1200-1212هـ/1791- 1798م)، يلقب ببابا حسن، شغل عدة مناصب في السلطة، وكان رجلا عارفا عاقلا وله فطانة بأمور السياسة كونه تولى منصب وكيل الخرج، ثم تقلد منصب الخزناجي، ويقال أنه ألغى عقوبة الإعدام على أغلب الجرائم، وكان يتعامل مع الأسرى برفق. اتخذ سياسة داخلية حاول فيها إدارة شؤون البلاد للحفاظ على وحدتها الترابية وتحقيق الاستقرار، كتحرير مدينة وهران من طرف الاستعمار الإسباني سنة 1792م. أما سياسته الخارجية فكانت لها سماتها الدبلوماسية مع الباب العالي ومع الأقطار الأوربية، ولعل أهم ما يميزها هو الاستقلالية في عقد الصلات ونسج العلاقات. كما عرفت فترة حكمه على مستوى الأعمال الميدانية خاصة في مجال العمارة، نشاطا من خلال حرصه على تشييد المنشآت الدينية والمدنية والعسكرية، إما تشييدا كليا أو ترميم وصيانة المعالم التي أنشأها سابقيه، وهذا يعكس شخصية هذا الداي، رغم الظروف الدولية والمحلية التي صادفته. **أنظر**: سعيد بوزرينة، حكم دايات الجزائر حسن باشا أنموذجا (1205- 1212هـ/ 1791- 1798م) سياسته ومنجزاته المعمارية، المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة أسيوط، مصر، العدد 72، مصر، أكتوبر 2019م، ص 06.

[2] يحي بن بهون حاج امحمد، وجد وأسى ديوان الشيخ ابراهيم بن بحمان، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2005، ص 46.

من الليالي استضافه الأمير لداره خلافا لعادتهم، وأعطى في تلك الليلة مالا كثيرا خصوصا إلى بنت الأمير"[1].

وتذكر بعض الروايات المحلية بمزاب أن صالح باي قبل ذهابه الى الجزائر صب غضبه على المزابيين فأمر بمصادرة جميع أملاكهم، وأجلاهم عن قسنطينة حفاة عراة. وتذكر نفس الرواية أن بني مزاب لجؤوا إلى شيخ زاوية بوحجر سيدي بن الحلاوي للتوسط لدى الباي كي يتراجع عن مطاردتهم، وهو ما حدث[2]، هذا الأخير كان يجالس الباي صالح ، كما كانت كلمته مسموعة، فشكوا ما حل بهم من طرف الباي ، فذهب إليه ولامه على سوء تصرفه مع بني مزاب وحذره من ظلم هؤلاء الناس المسلمين[3]، ثم انصرف بعد ذلك مباشرة، يقول يحي حاج امحمد في كتابه وجد و أسى عن هذه الحادثة "...وتقول الروايات إنه لم تمض ساعة من مغادرة ذلك الشيخ قصر الباي حتى طلعت سحابة سوداء وأمطرت حجرا بدل المطر، خاف الباي وأرعبه ذلك الموقف وظن أن دعوة بني مزاب وذلك الشيخ قد لحقته فأسرع بإرسال من يعيد بني مزاب إلى ممتلكاتهم بقسنطينة" [4].

ثانيا: طلب صالح باي ضم بلاد مزاب إلى سلطته

لم يهدأ بال صالح باي ولم يشفى غليله بعد ما فعله ببني مزاب فعندما سافر إلى العاصمة والتقى بالداي حسن، عرض عليه فكرة ضم وادي مزاب إلى ولايته الشرقية و لم يعر أي اهتمام لكل الاتفاقيات السابقة بين ممثلي وادي مزاب والسلطة المركزية العثمانية، التي تمتدد من وطأ أول قدم للعثمانيين بالجزائر إلى دخول المستعمرين الفرنسيين، ومع إصرار الباي قبل الداي حسن باشا طلبه ، ولم تكن في نية صالح باي إلا الانتقام لنفسه مما وقع له بقسنطينة مع التجار المزابيين[5].

---

[1] أحمد توفيق المدني، مرجع السابق، ص ص130-131

[2] حمو النوري، نبذة من حياة المزابيين..، مصدر سابق، ص231.

[3] يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب..، مرجع سابق، ص99

[4] يحي بن بهون حاج امحمد، وجد وأسى..، المرجع السابق، ص 46.

[5] نفسه، ص47.

لم يكد الباي صالح يصل إلى قسنطينة حتى كان المجلس الأعلى بمزاب قد بعث برسالة إلى الداي –هي الأولى– كتبها الشيخ إبراهيم بن بحمان، وأرسلها إلى أمين المزابيين بالجزائر إبراهيم بن صالح فأدخلها إلى الداي على يد صهره "وكيل الحرج" الحاج علي عبد اللطيف، فقرأها على الداي الذي تأثر بها كثيرا، ورغم قساوة بعض ألفاظها إلا أن معرفة الداي بحقيقة المزابيين و بشرعية دعواهم جعلته ينصفهم[1]، ويحق لهم الحق بأن كتب في حينه إلى باي قسنطينة يخبره بأنه قد أبطل ما عهد له من ضم وادي مزاب إلى ولايتها[2]، وتأكدت الشكوك التي كانت تراوده من جهة هذا الباي وطمعه في الاستقلال بولاية قسنطينة وجميع نواحي الجزائر الشرقية[3].

أهم المصادر المعتمدة لدراسة هذه القضية هي عبارة عن رسائل كتبت باسم "جموع بني مزاب" وهي السلطة المحلية بوادي مزاب من طرف الشيخ ابراهيم بن بيحمان[4]، موجهة إلى الباشا حسن الدولاتلي يستعطفونه فيها للعدول عما منحه لصالح باي[5].

ثالثا: ردّ فعل المجلس الأعلى لواد مزاب حول القضية

سنحاول التطرق للرسائل التي كتبها الشيخ ابراهيم لتوضيح موقف المجلس الأعلى لواد مزاب حول الحادثة.

---

[1] يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب...، مرجع سابق، ص99.

[2] يحي حاج امحمد، مرجع سابق، 46. **أنظر أيضا:** يوسف الحاج سعيد، نفس المرجع، ص 99.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية، الجزائر، 1955، ج3، ص 279.

[4] إبراهيم بن بيحمان بن أبي محمد بن عبد الله ابن عبد العزيز الثميني اليسجني" (ت: 1232هـ/ 1817م) من علماء بني بسجن البارزين، أخذ العلم عن خاله الشيخ عبد العزيز الثميني (ت: 1223هـ 1808م)، وعن الشيخ أبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي (ت: 1202هـ/ 1787م). وهو من أنصار النهضة الإسلامية الحديثة، والدعاة لها بالخطب والوعظ والإرشاد، فكان يتنقل بين مدن وادي مزاب يدعو إلى العلم ويحارب الجهل والبدع. له تلاميذ كثيرون، وكانت له صلات وثيقة بعلماء الجزائر والمغرب وعمان، فكان يراسل الإمام سليمان بن عبد الله الإسماعيلي إمام سلطنة عمان؛ كما أن له مراسلات إلى البايات والدايات الأتراك – باسم مجلس عمي سعيد، الذي كان كاتب تقاريره – منها رسالة بتاريخ 1206هـ/1791م أرسلها إلى داي الجزائر الحسن الدولاتلي، يستعطفه فيها، طالبا منه التدخل والحيلولة دون قبول الطلب الذي تقدم به باي قسنطينة – الباي صالح – لبسط نفوذه على الرعايا المزابيين. وقد حفظت لنا كل هذه المراسلات في مخطوطات بخط يده . أنظر: معجم أعلام الاباضية قسم المغرب الاسلامي، ص 13.

[5] بحاز ابراهيم، ثلاث رسائل مخطوطة حول الإباضية المزابيين بالجزائر في العهد العثماني، المجلة التاريخية المغاربية، 1998.ص240.

ذكر الشيخ ابراهيم بن بيحمان في ديوانه مختصر توطئة سبقت الرسائل الثلاث جاء فيها ما يلي "بسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم، ولما وقع ما وقع في سنة ستة ومائتين وألف من بعد هجرة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم – من أمور عظام، وأهوال جسام، ومن جملتها، أن عدو الله والمسلمين البائي [كذا] صالح صاحب الولاية الشرقية عليه اللعنة (...) قد دخل بلد الجزائر واشترى من المولى حسن الدولاتلي بلاد بني مزاب أن يكون أميرا عليهم بعدة من ألوف لا تحصى، وأن يجعل أمورهم بيده، وجهز له ما جهز ما لا يعد ولا يستقصى، وقد تمني ذلك اللعين و ترجى اسرهم وسبي النساء والصغار، وحدّث به نفسه آناء الليل والنهار" – وفي هذا ربما مبالغة، لكن على كل فهي تعكس مدى تخوف بني مزاب من صالح باي خاصة و أنه قاد محلة الى الجنوب سنة 1785 من أجل بسط السيطرة العثمانية في المناطق الداخلية (ذكرت في بداية المبحث) ، أو ربما لما رأوا من شدة بطشه خاصة عندما يتعلق الامر بجمع الضرائب (هذا الوصف ينطبق على كل الحكام العثمانيين أو من ينوبهم في المحلة). أو ربما لما شهده تجار بني مزاب المتواجدين بقسنطينة من مضايقات.

ذكر الشيخ بحمان موقف بني مزاب اتجاه قرار صالح باي بشكل جميل وبليغ حيث قال: "اضطربت أودية بني مزاب حين سمعوا ذلك الخبر وصححوا هذا الأثر الفظيع، وزلزلوا زلزالا شديدا، حتى بلغت القلوب الحناجر، فلتجؤا [كذا] إلى الله سبحانه بجميع الشراشر، وتضرعوا إليه بنية خالصة، إذ لا ملجأ من الله إلا إليه، وخضعوا له بطوية صافية، فآووا إلى قراءة القرآن في الأماكن العظيمة الشأن يومي الإثنين والخميس، وكثروا بالصدقة والمعروف، وسووا بين الكريم والخسيس، فرفعوا شؤونهم إلى إبراهيم بن عبد الرحمان، مريدين منه كتابا يكتبه لهم في ذلك الشأن، إلى ذلك السلطان العالي القهرمان الغالي، فامتثل ما أتوا به إليه في الساعة والحين"[1].

في هذه الفقرة أيضا فيه إشارة إلى استحضار الجانب الروحي في السراء والضراء والذي لا يغفل عنه المجتمع مع اتخاذ الأسباب، حيث وصف طريقة تعامل وتصرف بني مزاب مع الأزمات والمحن التي تتعرض لها المنطقة.

[1] بحاز ابراهيم، نفسه، ص 240.

وتم الاتصال بالباشا حسن عن طريق أمين بني مزاب في الجزائر الذي قدم الكتاب إلى وكيل الحرج آنذاك: "وأرسلوه إلى ابنهم إبراهيم ابن صالح الأمين، وأدخله عليه على يد صهره الحاج علي بن عبد اللطيف، الآتي ذكره الشهير عن التعريف"[1].

وكان نتيجة ذلك، أن عدل الباشا عما قد أقره من قبل لصالح باي: "وقرأ عليه وأصغى إليه غاية الإصغاء، وأثر في نفسه تأثيرا عجيبا، وكفه بحمد الله سبحانه عن السراء والضراء، ورجع في حينه وساعته عما فعله لذلك اللعين، ونقض ما أبرمه له على رؤوس العالمين، فكتب إليه أن يرجع عما عزمه، ويخلي سبيل بني مزاب، وحذره وأكد عليه أن لا يذكرهم ولو باللسان، مادام مرور الزمان".

رابعا: نهاية القضية ومقتل صالح باي

حسب نفس المصدر فإن صالح باي قد سخط على الباشا حسن لتراجعه عن قراره بشأن وادي مزاب، حيث قال: " فلما وصله خبر المولى، أنف وأبى واستكبر، و على وغضب غضب الخيل في اللجام، وغاظه الحال حين رد عليه وأبطل أمره بين الأنام، فبعث اليه باعتزاله ، وبمن يقوم بدله في مكانه، فاحتال عدو الله ورسوله ،الى القادم عليه ، وجمع من أصحابه، فقتل منهم جما غفيرا، فجدد إليه الدولاتلي رؤوس مملكته، فأخذوه ومزقوه تمزيقا عظيما، وفصلوه على أربعة أجزاء وشتموه تشتيما أليما، وفعلوا به وبدائرته ما يعتبر به جميع الأنام ، ويذكر ما دامت الليالي والأيام، وما ذلك إلا ببركة مذهبنا ، وحرمة منهجنا، وفضل الطريق القويم، وحسن المنهاج المستقيم."

في الواقع لم يكن غضب الداي حسن على صالح باي و اصدار امر بإعدامه بسبب قضية مزاب وحدها، إنما كانت القضية لأسباب أخرى ، مثل ما ذكره المدني، إذ يقول: ".. لأنه خشي أن تحدثه نفسه بالاستقلال في بلاد الشرق الجزائري بعد أن قضى بها 22 عاما وتوطد بها قدمه بصفة متينة"[2].

وبذلك انتهت قضية خلاف بني مزاب مع صالح باي وعادت الأمور إلى ما كانت عليه، وقد كتب الشيخ بحمان في رسالته الثانية[3] مدحا وثناء إلى الداي حسن على استجابته وتدخله الحكيم في

---

[1] ناصر بالحاج، النظم والقوانين...، مرجع سابق، ص160. **أنظر أيضا**: يحي حاج امحمد، وجد وأسى..، مرجع سابق، ص46.

[2] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 136.

[3] بحاز ابراهيم، ثلاث رسائل مخطوطة..، مرجع سابق، ص 246.

هذه الأزمة إذ يقول: "هذا وإن مكتوبك الشريف وخطابك المنيف، قد وصل بأيدينا، وتشرف بأناملنا، وتلقيناه بالفرح والسرور، وقبلناه تقبيل الحجر الأسعد لدى البيت المعمور، وشرفناه في الغاية، وعظمناه في النهاية، وأقام لدينا مقام ذاتك الجميلة، وأزال عنا كل الحيرة والوحشة القريبة والبعيدة، كيف لا وهو كتاب مولانا، وخطاب سيدنا، وأعز الناس عندنا، لازالت أيامه مترددة في منازل السعود، وأغصان خيراته متدلية على جميع الوفود". ونظم له قصيدة مطلعها:

حمى الله بدرا قاطنا بالجزائر جميلا لبيبا جامعا للمفاخر

وقد وجه الشيخ ابراهيم بحمان رسالته الثالثة[1] في نفس الموضوع، بلسان قومه إلى "الحاج علي" يشكره على الدور الكبير في التوسط لدى الباشا لصالح المزابيين، بحكم علاقته الوطيدة به، حيث وصفه بما يلي: "جعله الله تعالى حصنا منيعا لعباده يلجؤون إليه عند المهمات، وملجأ رفيعا يأوون لديه لدى الملمات، وقد انفتح على يديه ما انغلق من الأبواب، وتيسر بين إمامه ما تعسر من الأسباب". وضمن الرسالة قصيدتين جاء في مطلع إحداهما:

قد أتانا كتاب خل جميل سيد ماجد لبيب جليل

فاضل رابط الفؤاد حكيم صابر للبأساء طب نبيل

وختمت الرسالة الثالثة بما يلي: "وعليك السلام التام، والتحية م وعلى كل حبيب صادق، وأخ حاذق، وقد اصطفاك مولانا سبحانه على الأنام، واختارك من بينهم على التمام، لما علم فيك الصلاح والخير والفلاح، كما قال سيدنا ومولانا محمد صلى الله على وسلم: « إذا أحب الله عبدا رد إليه حوائج عباده»، «ومن الناس ناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر». والتنويه بشأن أمثالك كما لا يخفى كثير وشهير في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه، فلا نطيل به تاريخ أواخر صفر من سنة 1207هـ"[2].

نستنتج من هذه القضية بعض الأفكار نوجزها في ما يلي:

1. تعتبر هذه الرسائل مصدر مهم في دراسة العلاقات العثمانية المزابية حيث أزالت الكثير من الغموض حول فترة الحكم العثماني للمنطقة في ضل الغياب الكبير لهذا النوع من الوثائق و يقول

[1] نفسه، ص 251.

[2] بحاز ابراهيم، ثلاث رسائل مخطوطة..، مرجع سابق، ص251.

يحي علي معمر في هذا الصدد: "ومن أبرز العلاقات بين الدولة التركية و"مزاب" رسائل وقصائد الشيخ الحاج إبراهيم بيحمان الذي ذكرناه آنفا، يخاطب بها ملوك الدولة فيما بين عام ١٢٠٠هـ وعام ١٢٠٧هـ كما هو مخلد في ديوانه المخطوط، وكان لها أثر محمود في أوساط الدولة و "بني مزاب" في ذلك الحين"[1]

2. العلاقة الجيدة لبني مزاب مع السلطة العثمانية والاتفاقات التي كانت بين الطرفين ساهمت بشكل كبير في إنصافهم إذ يقول الشيخ بن بحمان وهو يصف مشاركة المزابيين في رد العدوان المسيحي على الجزائر يدا بيد مع العثمانيين: "... فكيف يكون ذلك، وأنهم تلاقوا مع العسكر الترك الأعلى في يوم واحد على ما هنالك، وعقدوا نية واحدة، وأخلصوا طوية خالصة، ورسموا ذلك في الدفتر والديوان، وسطروه على مرور الدهور والأزمان، خلفا عن سلف، صيانة من التلف". ضف إلى ذلك وصول الرسالة إلى الداي حسن عن طريق صهره حاج علي والذي جمعته صلة طيبة بالمزابيين.

3. تبرز هذه الرسالة المكانة المهمة للمزابيين في مدن الشمال، حيث تناولت الرسالة الأولى تهديدا واضحا للباشا بالانسحاب، وترك مدينة الجزائر، في حال لم يتم الاستجابة لطلبهم، وذلك بتعبير رائع وسلس ومنمق: "... فإن قلت يا مولانا أيها النبراس، العلي شأنه فوق جميع الناس، لابدا من هذا فإنا لأمر الله تعالى طائعون، ولقولك سامعون، فسرح حينئذ أولادنا الداخلين بلد الجزائر بالأمان، الخادمين صنائعها بالإحسان، أن يقدموا إلى ما يريدونه من البلدان، وأرض الله واسعة مادام الزمان". ويذكر كذلك الشيخ عبد الرحمن بكلي هذه الحادثة في مقابلة مع الشيخ يحي علي معمر إذ يقول: "فإما أن يبقيهم على الحالة الأولى من تبعيتهم للسلطة المركزية، وإلا فليسرحوا أبناء "مزاب" الذين دخلوا بلادهم بأمان، وأرض الله واسعة الفضاء[2]".

[1] علي يحي معمر، مرجع سابق، ص 242.

[2] نفسه.

الفصل الثالث: العلاقات الاقتصادية والتجارية بين مزاب والسلطة العثمانية

المبحث الأول: الدور الاقتصادي للمزابيين بمدينة الجزائر.

المبحث الثاني: تجارة القوافل والعملة والسلع.

المبحث الأول: الدور الاقتصادي للمزابيين بمدينة الجزائر

تميزت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني في جل فتراتها بالنشاط الاقتصادي الحيوي وذلك بتنوع الطوائف العاملة فيها (خاصة البرانية) وهو ما استفاد منه حكام الإيالة، حيث قاموا بوضع استراتيجية محكمة لضمان التسيير الحسن للسوق، ضف إلى ذلك تنوع السلع ووفرتها، يقول حسن الوزان في وصف مدينة الجزائر "فيها دور جميلة وأسواق منسقة كما يجب، لكل حرفة مكانها الخاص. وفيها الكثير من الفنادق والحمامات"[1]

يعتبر بني مزاب من بين الفئات التي ساهمت بقدر كافي في الجانبين الاقتصادي والاجتماعي في مدينة الجزائر ويرجع ذلك لعدة عوامل منها:

- تواجدهم في مدينة الجزائر قبل تواجد العثمانيين إذ يشير فانتور دو بارادي (Venture de Paradis) "بأن بنو مزاب تواجدوا بمدينة الجزائر قبل مجيء الأتراك العثمانيين وكان تمركزهم العمراني قوي بالمدينة كما تمتعوا بامتيازات واسعة على غرار بقية الجماعات المكونة لمجتمع مدينة الجزائر"[2].
- حنكة تجارها وسهر شيوخهم وأمنائهم على تنظيم الجماعة وفق المعايير المعمول بها في أسواق مدينة الجزائر خلال العهد العثماني. وبفضل ذكاء وكفاءة تجار بني مزاب جعلتهم موقف إحترام وتقدير سكان مدينة الجزائر، يسر لهم ذلك عملية التعامل مع السلطة العثمانية باحترافية، بعيدا عن المضاربة والربا في كل المعاملات التجارية[3].
- الأخلاق التي كانوا يتمتعون بها كما ذكرها وليام شالر القنصل الأمريكي بالجزائر حيث نقرأ ما نصه: "والمزابيون قوم هادئون نشيطون في التجارة ومشهورون بالأمانة والنزاهة في الأعمال..،

---

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الأفريقي)، وصف إفريقيا، تر: حجي محمد والأخضر محمد، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1983، ج2، ص37.

[2] Venture de Paradis, Alger au XVIII é siècle, édité par Edmond Fagnan, Alger, Typographie ,1983,14

[3] حنيفي هلايلي، بنو مزاب والأنشطة التجارية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء مخطوط قانون الأسواق، مجلة أنثروبولوجية الأديان، ع1، 2020م، سيدي بلعباس، الجزائر، ص 228.

والامتيازات التي يتمتعون بها وتجارتهم تضمنها معاهدة مكتوبة وقعتها حكومة الإيالة، وهم في الشؤون المدنية لا يعترفون بسلطة إلا للأمين، المزابي الذي يقيم في الجزائر"[1].

نحاول في هذا المبحث الإجابة عن الإشكاليات الآتية:

ماهي المهن أو الحرف التي كان بني مزاب يتميزون بها في مدينة الجزائر؟ وما هو الدور الاقتصادي الذي لعبته هذه الطائفة؟ وكيف استفادت من الامتيازات الممنوحة لها من طرف السلطة العثمانية؟

أولا: النشاط الاقتصادي لبني مزاب في مدينة الجزائر

لقد كان بني مزاب في مدينة الجزائر يحتكرون أهم ثلاث مهن رئيسية، وهي مهنة الأفران وما تبعها من طحن الحبوب، والجزارة و ما ارتبط بها من شراء الأغنام وادارة المسالخ وبيع توابع اللحوم،كذا مهنة الحمامات، كما كانوا يشتغلون في مهن أخرى غيرها بالتشارك مع الطوائف الاخرى. يقول حنيفي هلايلي في هذا الصدد " هذه الحرف الثلاثة التي احتكرها بني مزاب (الافران- الحمامات- الجزارة) ارتبطت أساسا بقواعد التغذية والنظافة التي هي من أساسيات تحضر المجتمعات"[2].

1. مهنة الأفران " الكواشة"

تعتبر مهنة الأفران والطواحين من بين أبرز المهن التي عملها بني مزاب في مدينة الجزائر حيث تذكر أغلب المصادر أن بني مزاب احتكروا هذه المهنة و عملوا على تنظيمها ، تقول عائشة غطاس "وتخبرنا سجلات البايليك أن العمل في الأفران كان مقصورا على بني مزاب. ففي عام 1681-1682 كان الحاج عيسى المزابي أمين جماعة الفرانين مستأجرا لفرنين واحد بسوق السمن والثاني بسويقة عمور. وكان بونوة المزابي مستأجرا لفرن بكتشاوة وظلت نفس الأفران بيد عناصر مزابية فبعد مضي نحو خمسة عقود على ذلك أي عام 1722م أصبح فرن أعلى سوق السمن بيد داود المزابي،

[1] وليام شالر، المصدر السابق، ص 111.

[2] حنيفي هلايلي، بنو مزاب والأنشطة التجارية..، مرجع سابق، ص 239.

وفرن سويقة عمور بيد رحمو المزابي وفرن كتشاوة بيد يحي المزابي واستأثرت جماعة بني مزاب العمل طيلة العهد العثماني كله"[1].

وأوضح أيضا سيمون بفايفر أن بني مزاب كانوا يملكون مخابز بتفويض من الدايات "وقد منحهم دايات الجزائر منذ قرون امتيازات خاصة، فالحمامات والطاحونات خاصة بهم دون سواهم"[2].

نشير إلى أن المصادر التي ذكرت إمتلاك بني مزاب لكل المخابز، كان قصدها إمتلاكها أغلبية، فقد ذكر قانون الاسواق أن الطواحين كانت مشتركة بين المزابيين والجيجليين، يقول شويهد "...وتتم المحاسبة مع جماعت أخرى كل عاشوراء وبالنسبة للمخابز الموجودة بالأحياء يتم تحديد السعر في نصف عاشوراء... وتم الاتفاق بين الكواشة الجيجليين وكواشة بني مزاب على أن تكون أجرة طحن الخبز بالرحى أربعة دراهم للصاع... كان ذلك سنة 1018 هـ/ 1609م"[3]. كما ذكرت سجلات البايلك ذلك: "حانوت سمت [بجوار] دار مصطفى خوجة جنب كوشة الجيجلية بيد موشي الزمي" و "كوشة قرب حمام المالح بيد موسى الجيجلي وشريكه"[4].

أ. النظام المعتمد في عمل الأفران

يقول الشيرازي في نظام الأفران: "ينبغي أن ترفع سقوف حوانيت الخبازين وتفتح أبوابها وتجعل في سقوف الأفران فتحة واسعة يخرج منها الدخان، ويجب أن ترفع المداخن بالقدر الذي يجعل دخانها مرتفع عن الدور المجاورة"[5].

في ذلك حققت المخابز والأفران التي كانت موجودة بمدينة الجزائر الشروط المذكورة أعلاه، فنجد مداخنها ترتفع في السماء، كما نجدها عالية و واسعة ومطلية بالجير الأبيض الناصع وهذا دليل

---

[1] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، 1700-1830، مقاربة إجتماعية- اقتصادية، مذكرة مقدمة لنيل الدكتوراه، جامعة الجزائر، 2001، ص304.

[2] سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية، مصدر سابق، ص130.

[3] عبد الله بن محمد الشويهد ، المصدر السابق ، ص 62.

[4] عمر بوكرموش، التفاعل السياسي والاقتصادي لطائفة بني مزاب في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة ماستر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2016،ص 60.

[5] عبد الرحمان بن ناصر عبد الله الشافعي الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق ونشر باز العريني، القاهرة، 1946، ص 22.

على مراعاة شروط النظافة والجودة والنوعية المطلوبة مما جعل الحكام والسكان يتقون في نوعية الخبز المعروض عليهم[1].

ومن بين الأنظمة التي كانت تلتزم بها الأفران ماذكره دوفول(DEVOULX) في كتاب التشريفات مايلي "المحتسب[2] هو المفتش الرئيسي والناظر في أمور الأسواق والمخبزات حيث يتفقد نوعية المواد التي صنع منها الخبز ويتأكد من وزن رغيف الخبز"[3]. إضافة إلى أمين الجماعة الذي من مهمته الإشراف والتنسيق بين الأفران والتحدث مع الحكومة في أي مشكلة تواجه المهنة. تذكر بعض المصادر الغربية العائدة إلى القرن السابع عشر، مثل غراماي "Grammaye" عن عمل الأمين إذ يقول: "ولضبط أفراد هذه المجموعات البرانية، كان على رأس كل واحدة منها –باستثناء جماعة القبائليين– أمين"[4].

كما يتمتع بسلطة أدبية وقانونية تجعله مسؤولا أمام السلطة المحلية عن كل تصرفات طائفته. ومن مسؤوليات الأمناء أيضا جمع الضرائب لحساب البايليك وتقديم المساعدة الضرورية عند الحاجة لأفراد الطائفة، ولعب دور الوسيط بينهم وبين الإدارة[5]

ب. أسماء لأهم أفران المزابيين

ذكر محمد وقاد عدد الأفران ومواقعها في مدينة الجزائر خلال الفترة الممتدة من (1171هـ-1757م) إلى (1184هـ-1770) من خلال اطّلاعه على بعض المصادر المهمة فتعرف على أسماء ومواقع الأفران "الكوش" اعتمادا على وثائق المحاكم الشرعية، وعددها أربعة (04) وثائق سلسلة البايلك وعددها عشر (10) وثائق، وإحصاء تسع وخمسين "كوشة" داخل مدينة الجزائر، إثنان

---

[1] محمد وقاد، جماعة بني مزاب وتفاعلاتها، ص88.

[2] تعتبر وظيفة المحتسب إحدى ركائز الإدارة في المدن الإسلامية حيث تطور هذا الجهاز الإداري من شخصية المحتسب في البداية ليصل في أواخر العهد العثماني إلى مؤسسة مهمة تتمثل في منع أو إزالة الضرر الذي يصيب الأماكن العامة كالشوارع و الأسواق والمساجد و الحمامات و الكوش و غيرها و متابعة حسن سير الأنشطة الحضرية التي يحتاج إليها الناس مثل الحرف و الصناعات ووسائل كسب العيش أنظر: أحمد مصطفى بن حموش، فقه العمران الإسلامي من خلال الارشيف العثماني بالجزائر،2002، ص 62

[3] Devoulx (Albert), Tachrifat, recueil de notes sur l’administration de l’ancienne régence d’Alger, Alger, Imp. Du gouvernement, 1852, p22.

[4] Devoulx (Albert),op.cit,43.

[5] حنيفي هلايلي، بنو مزاب والأنشطة التجارية..، مرجع سابق، ص 234.

وخمسون (52) "كوشة" منها تابعة لأفراد جماعة بني مزاب، وكوشة واحدة تابعة لمجمع أفران البايلك، وستة (06) "كوش" الباقية تابعة لأفراد جماعة الجواجلة[1].

يمكن أن نضع أمثلة من هذه الأفران في الجدول التالي[2]:

الرقم	الكوشة أو فرن	المالك	المصدر
01	كوشة سعيد بن أحمد	سعيد بن أحمد	أ.و.ج/س.م.ش/ع12و14
02	كوشة وريدة	محمد كواش	أ.و.ج/س.م.ش/ع19س107
03	كوشة باب البحر	عمر بن داود و قاسم سنينة	أ.و.ج/س.م.ش/ع19س104-107
04	كوشة كجداوة	وليد خليفة دحمان	أ.و.ج/س.م.ش/ع21 س117
05	كوشة بكير	بكير	أ.و.ج/س.ب/ع21 س117
06	كوشة لمصابي محمد	محمد	أ.و.ج/س.ب/ع21 س117
07	كوشة بير الزنق	الحاج امحمد بن عمار	أ.و.ج/س.م.ش/ع19 س107
08	كوشة حوانت سي عبد الله	عبد الله لمصابي	أ.و.ج/س.م.ش/ع19س104
09	كوشة دروج	عبد الله لمصابي	أ.و.ج/س.م.ش/ع19س107
10	كوشة حارة جنان	محمد الكواش	أ.و.ج/س.ب/ع104-107 س192
11	كوشة بن عودة	محمد بن مصطفى	أ.و.ج/س.ب/ع19 س102
12	دار الفرن بكير هلال	بكير هلال	أ.و.ج/س.ب/ع21 س117
13	فرن سوق سمن	دحمان بن عبد الله لمصابي	أ.و.ج/س.ب/ع21 س117
14	أفران أعلا سوق سمن	داود لمصابي	أ.و.ج/س.ب/ع21 س118

[1] محمد وقاد ، جماعة بني مزاب و تفاعلاتها..، مرجع سابق، ص87.

[2] نفسه. **أنظر كذلك**: عمر بوكرموش، المرجع السابق، ص 62.

15	فرن بكجاوة	محمد بن ابراهيم لمصابي	أ.و.ج/س.ب/ع21 س118
16	فرن قرب القصبة	عدون لمصابي	أ.و.ج/س.ب/ع21 س118
17	فرن قرب سيدي محمد الشريف	صالح لمصابي	أ.و.ج/س.ب/ع19 س 105
18	فرن بسويقت عمور	حمو لمصابي	أ.و.ج/س.ب/ع19 س 105
19	أفران أعلا سوق سمن	عامر لمصابي	أ.و.ج/س.ب/ع23 س 146
20	فرن بسويقت عمور	الحاج اسعيد لمصابي	أ.و.ج/س.ب/ع23 س 146

2. الطواحين

يعتبر القمح أو الزرع، مادة غذائية رئيسية لسكان الجزائر خلال العهد العثماني، ولأهمية الحبوب في التغذية، سعى الحكام إلى توفير هذه المادة بالكمية التي تسد حاجيات السكان، اضافة الى تجهيز المدينة بسلسلة من الطواحين[1]، كما تم توفير مكانا مخصصا لبيعها عرف برحبة الزرع[2]، وتشير أغلب المصادر إلى أن المزابيين كان لهم حق احتكار الطاحونات[3]، فقد قدّر دو بارادي عددها حوالي 25 طاحونة، ما قد يجزم لنا أن معظمها كانت لهم دون سواهم[4]، ويقول عبد القادر حليمي: "فكانوا يمتهنون إدارة المطاحن وبيدهم أغلب الرحى"[5].

[1] حنيفي هلايلي، بنو مزاب والأنشطة التجارية..، مرجع سابق، ص239.

[2] Devoulx (Albert),op.cit,43

[3] ويليام شالر، مرجع سابق، ص 111.

[4] VENTURE De PARADIS , VENTURE de Paradis ,Tunis et Alger au XVII é siècle ;mémoire et observations rassemblés et présentés par Joseph cuoq, La bibliothèque Arabe,p03

[5] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص 229.

ذكر ليسباس (LESPES) ترجمة لوثيقة قدّمها أعيان بني مزاب إلى الجنرال الفرنسي رابتال (RAPTAL) سنة 1835 والتي يتّضح منها أن الحكام العثمانيين قد سمحوا لبني مزاب بالاشتغال في أية حرفة يختارونها ويجدونها مناسبة لهم، ومنها طحن الحبوب[1].

أمدنا نص من قانون الأسواق بخصوص صناعة الخبز بما يلي: "في عهد بابا حسن قار بغلي اشتكى بنو مزاب من الجيجليين وطالبوا أن يبقى لهم حق القيام بطحن الحبوب للعسكر كما جار به العمل في السابق وبالكمية التي تكفي حاجاتهم...، فأجابهم بابا حسن[2] إلى ذلك... ورضي بنو مزاب بذلك. على أنّ ما زاد عن ذلك يدفعون عنه اثني عشر درهما للصاع، وكان هذا الاتفاق بينهم بدار الإمارة في ربيع الأول سنة 1109هـ/سبتمبر1697م"[3]. نستنتج منه أن بني مزاب كان لهم السيطرة التامة للطواحين قبل ذلك، مما أدى بالداي إلى الاستجابة لمطلبهم.

أ. أسماء أهم طواحين بني مزاب

من خلال سجلات البايلك التي نشرها محمد وقاد يتضح لنا ان الطاحونات تنقسم إلى أصناف إما تابعة لأفران الخبز (الكوشات) لأنه عندما ذكرت حكر الكوش ألحقت مجموعة من الكوش بالرحى يربطهم بإسم واحد ورد كالآتي: حكر الكوش الرحي (1173هـ-1177م) ومالك الكوشة والرحى شخص واحد، أو نجد ها في أماكن متفرقة عبر أحياء المدينة، وتترك هذه الطاحونات جنبا إلى جنب مع مخازن الحبوب الملحقة بقصر جنينة[4].

---

[1] René LESPÈS, ALGER Étude de Géographie et d'Histoire urbaines, 1925,.P180

[2] الداي بابا حسن: المعروف بـ "حسن خوج" أو "حسن شاوش" الذي يلقب أيضا بـ "قارة باغلي" تولى منصب الداي لفترتين، الأولى (1093-1095هـ/1682-1683م) والثانية (1109-1112هـ/1697-1700م) تميزت فترة حكمه بتوتر العلاقات ما بين الجزائر وفرنسا. **أنظر**: محمد وقاد، مرجع سابق، ص89.

[3] عبد الله بن محمد شويهد، المصدر السابق، ص62.

[4] قصر الجنين: يقصد بها مقر الحكم الذي نقل إلى أعالي القصبة في عهد محمد عثمان باشا.

نذكر بعض طواحين مدينة الجزائر الخاصة ببني مزاب[1]:

الرقم	الرحى	المالك	المصدر
01	رحى سيد محمد الشريف	الحاج محمد	أ.و.ج/س.ب/ع19 س104-106
02	رحى وريدا (حارة الجنان)	محمد كواش	أ.و.ج/س.ب/ع19 س104-106
03	رحى باب البحر	عمر بن داود و قاسم سنينة	أ.و.ج/س.ب/ع19 س104-106
04	رحى الدروج	قاسم لمصابي	أ.و.ج/س.ب/ع19 س104-106
05	رحى كابكابي (حمام طاقطاق)	عاشور تاقتو	أ.و.ج/س.ب/ع19 س104-106
06	رحى حوانيت سيدي عبد الله	عبد الله لمصابي	أ.و.ج/س.ب/ع19 س104-106
07	رحى سويقة عمور	قاسم لمصابي و عمور	أ.و.ج/س.ب/ع19 س104-106
08	رحى كجاوة	ولد خليفة دحمان	أ.و.ج/س.ب/ع19 س104-106

إلى جانب القمح والشعير تذكر بعض الوثائق نوع آخر من الرحى (الطاحونات) الملحقة "بالكوش" بالعنوان التالي: "ذكر الكواش (هكذا) مع فرين رحى مع فرين حبوب مع لبلبي"[2]، المعروف أن اللبلاب هو الحمص، معنى ذلك أن في تلك الفترة كان هناك "رحى" خاصة بطحن الحمص فقط.

ب. شكل وطريقة عمل الطواحين

يقول محمد وقاد عن شكل الطواحين التي كانت منتشرة في تلك الفترة "الطاحونات كانت مبنية من حجارة وطين أحمر والجزء المسؤول عن سحق الحبوب كان يصنع من الحجارة الصلبة فبعد

[1] محمد وقاد، جماعة بني مزاب وتفاعلاتها...، مرجع سابق، ص90-91.

[2] نفسه، ص93

أن تنحت وتأخذ الشكل المناسب لها توضع صفيحة فوقها على أن يترك فراغ بين الصفيحتين لتدخل الحبوب عبره، ومن ثم تسحق بفعل الحركة الدورانية للصفيحة الحجرية العلوية، حيث تعتمد الطاحونات على الطاقة الحركية التي تنتجها الحيوانات مثل: البغال والحمير"[1].

ويضيف فونتور دي برادي(venture de paradis) "الطاحونات التي كانت منتشرة بالمدينة خلال القرن الثامن عشر ميلادي (ق18م) والتي تدار من طرف الجمال، كانت ملكا لبني مزاب، وتقدم خدمات جليلة للسكان"[2].

انطلاقا من هذا يتضح لنا أن عملية الطحن كانت تخضع للطرق التقليدية، لكن هناك من يذكر بأنه كانت إلى جانب النوع المذكور من الطاحونات، طاحونات أخرى تعمل بالطاقة الهوائية، وكانت تتمركز وسط الأحياء وخارج باب الجديد (الناحية الغربية للمدينة)[3].

3. الجزارة

إضافة إلى المهن التي تميز بها بني مزاب في مدينة الجزائر الجزارة حيث تذكر المصادر أن بني مزاب احتكروا هذه المهنة والمهن التي ذكرت سابقا.

يتطرق فونتور دي بارادي (V.de paradi) إلى مهنة القصابة التي احتكرها بنو مزاب ضمن مجموعة من الامتيازات التي تمتعوا بها هم والأندلسيون "الحضر"، فيقول: "يشكل المزابيون جماعة مستقلة يحتكمون إلى أمينهم، بين يدهم جميع طاحونات القمح والمخبزات الموجودة بالمدينة والحمامات العمومية والمذابح، ويتمتعون بامتيازات داخل المدينة مثلهم مثل المورسكيين[4][الحضر]"[5].

ذكرت عائشة غطاس نصا من سجل البايلك عبارة عن عقد شراء بين جزار مزابي وأمين بيت المال، إذ جاء في أحد سجلات البايلك ما نصه: "الحمد لله تحاسب يوسف الميصابي مع صاحب بيت المال بشأن اللحم الذي يأخذه وعلى رؤوس الضأن الذي هم يأخذونهم... عام 1200هـ... ثم

---

[1] نفسه، ص93-94.

[2] VENTURE D.P., Tunis et Alger, Op .cit ., p 14

[3] مصطفى أحمد بن حموش وبدر الدين بلقاضي، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط البير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص227.

[4] المورسكيون لفظ أطلق على مسلمي الأندلس الذين فروا من بلادهم إلى شمال إفريقيا.

[5] VENTURE D.P., Tunis et Alger, Op .cit., p 14.

تحاسب الأمين بيت المالجي مع جماعة بني مصاب على ما وصل إليهم من اللحم... ثم قبض أمين بني مزاب تسعة رؤوس ضأن... من خليفة باي الغرب، ثم عنه أيضا ثلاثة وعشرين كبشا"[1].

يشير أيضا كتاب الجزائر بين الماضي والحاضر لأندري برنيان وآخرون عن إدارة بني مزاب للمجازر "مثل صناعة المجوهرات لليهود وإدارة مجازر اللحوم والحمامات عند المزابيين"[2].

ولقد منحت السلطة العثمانية لبني مزاب بمدينة الجزائر حق احتكار مهنة المجازر مقابل تزويد الإنكشاريين بما يحتاجونه من اللحوم مجانا، وإعارة دوابهم للخدمات البلدية[3]، كما أوكلت لهم كذلك الإشراف على المذابح والمسالخ وكل الأمور المتعلقة بمهنة الجزارة[4].

أ. بعض أسماء الجزارات

من خلال ماذكره محمد وقاد حول ما جاء في بعض الوثائق الإدارية، حول انواع القصبات، "دار اللحم " و"حانوت بيع اللحم"، كما وردت قصبات خاصة بتوابع اللحوم مثل: المعدة، بيع الرؤوس (البوزلوف)، الشحوم.

نذكر بعض القصبات الخاصة بالمزابيين[5].

الرقم	القصابة	المالك	المصدر
01	حانوت معدة لبيع اللحم	محمد التاجر بن يحي	أ.و.ج/س.م .ش/ع14 -2-33
02	حانوت معدة لبيع اللحم	محمد عمر التنسي	أ.و.ج/س.م. ش/ع14-2-33
03	حانوت معدة لبيع اللحم	عيسى الفكاه . ابراهيم المليكي. عيسى ايوب المليكي .داودي بن محمد الغرداي .يحي اليزقي	أ.و.ج/س.م. ش/ع23-2

[1] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، مرجع سابق، ص305.

[2] أندري برنيان وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص136.

[3] يوسف الحاج سعيد، المرجع السابق، ص78.

[4] محمد وقاد، جماعة بني مزاب وتفاعلاتها...، مرجع سابق، ص95.

[5] نفسه، ص99

04	حانوت لبيع المعدة اللحم	جزار من جماعة بني مزاب	أ.و.ج/س.ب/ع30 س253
05	حانوت دار اللحم	بن الحاج لمصالي	أ.و.ج/س.ب/ع21 س117
06	حانوت معدة لبيع الرؤوس (البوزلوف)	محمد بن الخياط بن فرحات	أ.و.ج/س.م .ش/ع14 -2-33

4. الحمامات

ذكر شويهد في مخطوط قانون أسواق مدينة الجزائر بأن الحمامات كانت تحت إشراف المزابيين وما جاء في هذا النص يثبت ذلك، فيقول: "تم اتفاق أصحاب الحمامات بالجزائر المحمية بمحضر العلامة الفهامة سيدي مصطفى العنابي بن رمضان وبمحضر أمين الأمناء السيد الشويهد، وبمحضر أمين الجماعة سعيد شريف الحمايمي على أن يتخلى عن كراء الحمامات... وكان المستأجر الجديد من غير جماعة بني مزاب لا يحق له فصل الطيابين.. ويكون استخلاص كراء الحمامات من الأرباح التي تدرها، في سنة 1110 هـ 1698 /م[1].

وفي سياق أخر يشير المخطوط إلى نوع من الصلاحيات الممنوحة من طرف السلطة لمسؤولي الحمامات وهي التحكم في سعر الإيجار: "اتفقنا مع جماعة بني مزاب المتولين كراء الحمامات ببلد الجزائر تحت إشراف المفتي وعبد الله الشويهد على أن يضمن بعضهم بعضا.. أن صاحب الحمام له الحق في رفع قيمة الإيجار إن وجد من يقبل ذلك.. وفي محرم 1111 هـ" [1699م][2].

أ. تسيير الحمامات

اعتمد المزابيون نظاما دقيقا ومفصلا ساعدهم بشكل كبير في تسيير الحمامات، والتي حاولوا من خلالها توفير جو من الترفيه والترويح عن النفس سواء لرجال السلطة أو لعامة الناس وكذا الذكور والنساء. اكان النظام على الشكل الآتي كما نصه قانون الأسواق:

- الفترة الصباحية: من الصباح الباكر إلى منتصف النهار، مخصصة للرجال.

[1] عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص90.

[2] نفسه، ص 91.

- الفترة المسائية: من منتصف النهار إلى المساء: مخصصة للنساء.

استحدثت فترة أخرى بطلب من الداي بداية من سنة 1157هـ-1744م خاصة بالنساء المومسات من العصر إلى غاية المغرب لتلبية حاجات جنده[1]، ولعزلهن عن النساء المتدينات[2].

بالنسبة للخدمات المقدمة داخل الحمام تتمثل في توفير خدمة التدليك من طرف الطيابين وغالبا ما كانوا من الزنوج، إضافة إلى تقديم بعض المشروبات[3] مثل القهوة والشربات[4].

نلاحظ أن الحمامات كانت توفر العديد من الخدمات إضافة إلى دورها الصحي والذي يتمثل في تنشيط الدورة الدموية وتجديد النشاط، كما تساهم في التخلص من بعض الأمراض الغير معدية، وكذا التخلص من الأوساخ وضمان النظافة العامة.

أما الدور الاجتماعي فكانت فضاء لتبادل أطراف الحديث و النقاش في الأمور اليومية خاصة العنصر النسوي اللواتي يجدنه فرصة لعرض أزيائهن وحليهن، كما تجده أخريات فرصة لتزويج بناتهن.[5]

ب. من بين الحمامات

- حمام أسفل مسجد حسن باشا لـ: ابراهيم لمصابي. كان لهذا الحمام أهمية كبيرة بسبب تواجده بجوار المسجد.
- حمام باشا للمصابي معمر.
- حمام طاق طاق لمحمد لمصابي.
- حمام جنينة لعمر لمصابي[6].

---

[1] عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص128 -129.

[2] عمر بوكرموش، المرجع السابق، ص 73.

[3] جون ب وولف، الجزائر وأروبا، تح، تع: أبو القاسم سعد الله، دار المعرفة للنشر، الجزائر، 2009، ص 152.

[4] هو خليط من الماء والليمون والسكر مشهور في مدينة الجزائر كان يبيعه خاصة "البساكرة".

[5] محمد وقاد، جماعة بني مزاب وتفاعلاتها...، مرجع سابق ،ص110.

[6] عمر بوكرموش، التفاعل السياسي...، مرجع سابق، ص 72.

ثانيا: الامتيازات الاقتصادية لبني مزاب

بعدما تطرقنا في المبحث الثالث من الفصل الأول إلى المساهمات العسكرية لبني مزاب في الشمال مع السلطة العثمانية والتي وصفت بالجليلة[1]، ضمنت لهم هذه التضحيات والمواقف امتيازات ومنح اقتصادية وهي عبارة عن ضمانات باحتكار بعض المهن في سوق مدينة الجزائر مثل: الطواحين، الحمامات، الأفران. وسنحاول تقديم نموذجين من هذه المساهمات:

- يذكر بفايفر سيمون الامتيازات التي تحصل عليها بني مزاب مقابل مشاركاتهم، حيث قال: "أما في مدينة الجزائر نفسها فإنّ لهم مكافأة لهم على هجومهم على قلعة الإمبراطور وقتلهم للحامية التي وضعها شارل الخامس فيها، امتيازات هامة"[2].

- ذكر الباحث اللغوي الفرنسي اوغست موليراس (Mouléras Auguste) حادثة وقعت عندما احتل شارلكان الجزائر حيث طلبت جماعة من المزابيين من الداي المشاركة في الحرب بمهاجمة الحامية الإسبانية، مقابل تعهده بمكافأتهم في احتكار بعض المهن مثل (الحمامات، الطواحين، المجازر وبيع الخضار)، بالإضافة إلى تعهده بمنحهم وبعقود مكتوبة أملاكا هامة بمدينة الجزائر[3].

ولابأس أن نستذكر بعض المواقف التي حدثت بين السلطة وبني مزاب والتي نرى من خلالها التزام السلطة بالوعود الممنوحة لهم:

- يقول شويهد في قانون الأسواق "في عهد بابا حسن اشتكى بنو مزاب من الجيجليين وطالبوا أن يبقى لهم حق القيام بطحن الحبوب للعسكر... فأجابهم بابا حسن إلى ذلك... ورضي بنو مزاب بذلك... وكان هذا الاتفاق بينهم بدار الإمارة في ربيع الأول سنة 1109 هـ/سبتمبر 1697م"[4].

توضح لنا هذه الحادثة مدى تمكن بني مزاب من التحكم في بعض مهن السوق من خلال احتكار طحن الحبوب الخاصة بالجيش، حيث كانوا يتقاسمونها مع الجيجليين فتفردوا بها وحدهم

[1] بالحاج ناصر، النظم و القوانين ، مرجع سابق ، ص143.

[2] بفايفر سيمون، مذكرات..، مرجع سابق، ص130.

[3] بالحاج ناصر، النظم والقوانين..، مرجع سابق، ص 144.

[4] عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق ، ص69-70.

بتدخل من الداي، وهذا أمر لا يمكن وقوعه، إذا لم تكن فيه اتفاقات أو ضمانات وحتى ثقة بين الطرفين.

يقول محمد وقاد في وصفه لحسن استغلال بني مزاب للامتيازات التي منحت لهم من طرف السلطة، "فأدرك الحكام العثمانيون أهمية ما يقدمه لهم بني مزاب لصالح المؤسسة العسكرية، فلذلك قدموهم على الجماعات الأخرى وجعلوا لهم مكانة خاصة عرفانا منهم وتقديرا لهم لأنهم كلما وسعوا الصلاحيات لهذه الجماعة، كلما حسنت أدائها أكثر وطورت مهنتها بشكل أفضل"[1]. نرى هنا أن طائفة بني مزاب حاولوا أن يستثمروا منحة الامتيازات لصالحهم بإيجابية لذلك حافظوا عليها طيلة الحكم العثماني وحتى بعده.

ذكر كتاب قانون الاسواق لشويهد حادثة خلاف بين اصحاب المهن وبني مزاب وذلك سنة (1749م) "فاتفق السيد أحمد باشا والحاضرون السيد مهدي شيخ البلد وأمين الأمناء وشيوخ بني مزاب على أنه إذا سجلت خسارة بإحدى المهن التي يمتهنها بنو مزاب تتقاسم عبئ هذه الخسارة المهن الأخرى"[2] في النص إشارة واضحة لمكانة بني مزاب في اقتصاد مدينة الجزائر، حيث لم يرضى الداي خسارة بني مزاب وحدهم فأشرك المهن الأخرى في الخسارة لتجنب تضرر المزابيين. وربما خسارتهم في مهنة واحدة ستؤثر على المهن التي يحتكرونها وبالتالي يتضرر اقتصاد المدينة.

ثالثا: اسهاماتهم الاقتصادية

كان لطائفة بني مزاب اسهامات كبيرة ومهمة في الجانب الاقتصادي على مستوى الداخلي من خلال اتقان و تنظيم محكم للحرف التي كانت تحت اشرافهم المباشر او حرف يتقاسمونها مع فئات اخرى . اما بالنسبة للجانب الخارجي تعاونهم مع الفئات الأخرى في تطوير سوق مدينة الجزائر من خلال عمل امناءهم من جهة ومن جهة أخرى الخدمات الخاصة المقدمة للسلطة مثل تزويد

[1] محمد وقاد، جماعة بني مزاب وتفاعلاتها..، مرجع سابق، ص99.

[2] عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص96.

الجيش بالاحتياجات اليومية وضمان استقرارهم. إضافة إلى عمل تجارة القوافل التي كانت تربط الجنوب بالشمال. يمكن تلخيص الإسهامات على شكل أفكار، وهي كالآتي:

- التنويع والإبداع في عمل المهن التي احتكروها، حيث لم يكتفوا بحدود عمل المهنة الأم بل تجاوزوا ذلك إلى إنشاء فروع لها، وذلك لضمان توفير احتياجات السكان قدر المستطاع، ونذكر من بين الأمثلة، الجزارة كانت محل لبيع اللحوم فقط، بعد ذلك تطور الأمر إلى إنشاء محلات لبيع أحشاء الغنم (كبدة–أطراف–رؤوس)، كما كانوا يقومون بعملية الذبح والسلخ، ضف إلى ذلك عملية بيع الأبقار والمواشي كما ينص قانون الأسواق: "... بموزعي البقر على أنه إذا كان من خمس ريالات فما فهو لمزعي الحصر وإذا كان من خمس ريالات فما تحت فهو لبني مزاب وذلك تحفيزا لهم على إعمار السوق، عام 1045(1635م)[1]. أما بالنسبة لمهنة الطحن فكانت لديهم أنواع من الطاحونات، حيث لم يكتفوا بطحن الحبوب (القمح والشعير) فقط بل أضافوا إلى ذلك طحن لبلبي (الحمص)، إضافة إلى خدمة نقل الحبوب إلى المطاحن وإرجاعها إلى بيوت السكان بعد الطحن، وفي مهنة الخبازة كانوا يهتمون بصناعة الخبز وصناعة الحلويات خاصة الزلابية[2].
- التكامل في المهن التي احتكرها بني مزاب خاصة الفحام حيث كان يجلبون الفحم من واد مزاب من خلال تجارة القوافل ويحصلون عليها بواسطة شجرة الأثل الموجودة بالمنطقة[3]، والتي كانوا يزودون بها الأفران والحمامات، فلولا هذه الخدمة لما استطاعوا تسيير المهن بشكل منظم، خاصة وأن مادة الفحم تستهلك بكثرة في الحمامات والأفران وحتى البيوت والمطاعم[4].
- تقوية وإحكام تنظيم طائفة بني مزاب الحرفية برؤوس الأمناء التابعين لهم، ومساعدتهم للمؤسسات الدولة في مراقبة العمل الحرفي في مجال النزاعات والتسويق والإنتاج، بالشكل الذي ساهم في ضمان حقوقهم الحرفية ودعم حركية النشاط الاقتصادي.

---

[1] الشويهد، نفسه، ص 64.

[2] هي نوع من أنواع الحلويات الشعبية مشهورة في عدد من البلدان العربية خاصة في مصر والشام والمغرب العربي والعراق، مصنوعة من النشأ والطحين وهي معروفة إلى وقتنا الحالي.

[3] يوسف الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 55.

[4] محمد وقاد، جماعة بني مزاب وتفاعلاتها..، المرجع سابق، ص 176.

- التنظيم الخاص بمهن طائفة بني مزاب، ساهم في تنظيم فعالية النشاط التجاري في سوق الجزائر خلال العهد العثماني، كما ساهم في دفع الضرائب والأداءات لخزينة الدولة[1].
- ساهم امتلاكهم للحرف الرئيسة كصناعة الخبز وإدارة الأفران والجزارة والإشراف على الحمامات، في تشغيل عدد لا يستهان به من العمال، وكذلك تلبية الحاجيات الغذائية لسكان المدينة والقاطنين في محيطها ولأفراد الجيش الإنكشاري المرابط في ثكنات مدينة الجزائر[2].

[1] حنيفي هلايلي، بنو مزاب والأنشطة التجارية..، المرجع سابق، ص245.

[2] محمد وقاد، المرجع السابق، ص 177. **أنظر أيضا**: حنيفي هلايلي، نفس المرجع.

المبحث الثاني: تجارة القوافل والعملة

تعتبر منطقة واد مزاب من أهم المراكز التجارية ونقاط العبور في الجزائر العثمانية مع مطلع القرن 16م، في ما يتعلق بتجارة القوافل، ففيها تتوقف القوافل القادمة من عديد الجهات للقيام بعمليات البيع والشراء والتخزين والشحن والتوكيل التجاري، والحصول على المعلومات الضرورية للتجار عن الأسواق المقصودة ومستويات الأسعار فيها وغير ذلك. فيما يلي بعض حيثيات المبادلات التجارية والنظم الخاصة بها، وذلك من خلال التطرق إلى نشاط السوق والمبادلات النقدية، والتجارة الخارجية، وهذا كله في حدود الوثائق المتوفرة[1].

أولا: تجارة القوافل في واد مزاب

كانت الطرق التجارية في الإيالة الجزائرية تنقسم إلى طرق سلطانية وأخرى جهوية، فالأولى – وهي التي تهمنا– هي الطرق التجارية الكبرى التي تربط الجزائر بالبلدان المغاربية: تونس، طرابلس، المغرب الأقصى، وبالسودان الغربي[2]. وكان لمنطقة مزاب دور بارز وحركية كبيرة في هذه الطرق حيث يقول الحسن بن محمد الوزان عن هذه المنطقة بأن "سكانها أغنياء، وهي أيضا رأس خط تجاري يلتقي فيه تجار الجزائر وبجاية بتجار أرض السودان"[3].

تميز بنو مزاب في تجارتهم الصحراوية بشكل كبير حتى اعتبرهم الفرنسيون عندما استقروا في الشمال إحدى وسائل الربط الرئيسية بالصحراء وبلاد السودان، ذلك أن وادي مزاب يوجد في المحور التجاري الأوسط بين الجزائر والمدية والأغواط باتجاه توات ثم بلاد السودان. ومن الأغواط ترتبط بالمحور الغربي بين وهران ومعسكر وبين كل من عين ماضي وبشار ومنه إلى بلاد السودان أو إلى المغرب الأقصى عن طريق فقيق، تطوان، مكناس ثم فاس أو تافيلالت وغيرها. كما أنها ترتبط بالمحور الشرقي بين قسنطينة وزمورة وبين بسكرة عن طريق حاضرة وارجلان، ومنها كذلك إلى بلاد السودان

[1] ناصر بلحاج، النظم والقوانين.. المرجع السابق، ص334.

[2] محمد وقاد، المرجع السابق، ص 128.

[3] الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 135.

وبالخصوص مملكة غانة، أو إلى الحواضر الليبية وكذا التونسية[1] عبر الطريق القطري الشرقي[2]. وأصبحت منطقة مزاب منذ بداية العهد الحديث إحدى المراكز التجارية الهامة في الجزائر نظرا لموقعها الاستراتيجي وتوسطها للمدن والحواضر كما ذكر أعلاه.

وكانت كل مدينة من مدن الوادي تحتوي على سوق للمبادلات الخارجية وكمحطة للقوافل، لكن إنشاءه في البداية وأساس حجمه وشكله حسب أهميته وحركته التجارية، فأول سوق في قصر غرداية عبارة عن ممر به أروقة وهو ممر "أميدول"، ثم نقل بعد توسع القصر إلى سوق "الرحبة"، وأثناء التوسعة الأخيرة للقصر في بداية القرن الـ19، أنشأت ساحة السوق الحالية في الناحية الجنوبية الغربية للقصر، وهو السوق الرئيسي في وادي مزاب لشساعته وحجم التبادلات الاقتصادية التي يعرفها وما يحتويه من الحرف التقليدية وكون غرداية أم قرى مزاب السبعة، لساحة السوق شكل مستطيل (75م× 44م) تحيط به الأقواس من كل الجوانب، وفتحت بداخلها الدكاكين ومخازن السلع، وتتفرع منها شوارع تجارية متعددة الاختصاصات[3].

القافلة المتجهة من مزاب إلى مدينة الجزائر تستغرق حوالي عشرين يوما إلى أربعين حسبما رواه ويليام شالر: "أقول أن المسافة بين الجزائر ووادي مزاب عشرون يوما... فإن البعض أكّد لي أن هذه المسافة أربعون يوما"[4] وهذا في حال لم تتوقف القافلة في أسواق المدن الداخلية"[5]، وفي طريق العودة إلى مزاب تتوقف القافلة في مدينة بوسعادة مدة معتبرة كما يذكره تقرير فرنسي حول تجارة بني مزاب

[1] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص369-370.

[2] طرق التجارة والمواصلات البرية كما ذكرها محمد العربي الزبيري، **أنظر**: محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة و.إ.ت، ط1، الجزائر، 1972، ص 67-68.

[3] ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، سلسلة قصور غرداية قصر غرداية "تغردايت"، وزارة الثقافة، الجزائر، 1435هـ/2014م.

[4] وليام شالر، المصدر السابق، ص 110.

[5] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 376.

في الشمال سنة 1845: "قبل أن يعودوا إلى بلدهم [مزاب] يتوقفون شهرا أو ستة أسابيع في بوسعادة ليشتروا ويحملوا إلى بلدهم القمح.. ومواد أخرى"[1].

استقلت كل مدينة من مدن مزاب بتجارتها وسوقها عن الأخرى، مما ولّد فيما بينها تنافسا كبيرا خاصة في جلب السلع عن طريق القوافل التابعة للقبائل البدوية، فتتفق معها على أن تحمل إليها قوافلها قبل المدن الأخرى، وأهم تحالف بين مدن مزاب والقبائل البدوية هو ذلك الذي وقع بين مدينة مليكة وقبيلة الشعانبة، يقول القاضي بوفارة: "وعمرت البلاد وصارت الناس يتسوقونها (...) وحين عمروا الشعانبة بلاد متليلي [إلى جانب أهل مليكة][2] صاروا يحملونهم إلى تيميمون وتحابوا ووقعت بينهم محبة تامة"[3]. "فالقبائل الصحراوية مثل الشعانبة والتوارق والخنافسة كانت مختصة في تسيير القوافل، ويعتبر ما تَدِرُّه عليها رحلاتها إلى مختلف المراكز التجارية في إفريقية أهم مورد تعتمد عليه في حياتها اليومية"[4].

اعتمد بنو مزاب على القبائل البدوية في تسيير قوافلهم بعد أن كانوا يسيرونها بأنفسهم، وأصبحوا بذلك وكلاء تجاريين يتنقلون برؤوس أموالهم ويعودون بالبضائع المختلفة، وتركوا دور حماية القوافل للقبائل التي اختصت في مجال التجارة الصحراوية، مثل الشعانبة وغيرها من القبائل المذكورة آنفا، ويرجع هذا التحول حسب مؤرخين إلى غزوة بني هلال للبلاد، حيث يرى بأنها عرقلت نشاط القوافل مدة من الزمن، لكن ما لبثت أن أعادت النشاط لها عن طريق تسييرها وحمايتها[5].

---

[1] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 376.

[2] هذه العبارة من وضع الدكتور ناصر بالحاج للتوضيح بأن بلاد متليلي عمرها الطرفان، الشعانبة وأهل مليكة، **أنظر**: ناصر بالحاج، المرجع السابق، ص370-371. كما بين القاضي بوفارة بأن هناك علاقة بين الشعانبة وأهل مليكة. **أنظر**: القاضي بوفاره، المصدر السابق، ص 3-4.

[3] القاضي بوفاره، نفسه، ص 3.

[4] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 370-371. **أنظر كذلك**: الزبيري، التجارة الخارجية..، المرجع السابق، ص 188.

[5] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 371.

ومن جهة أخرى فإن المزابيين كانوا مرغمين على دفع إتاوة لعبور قوافلهم على مناطق بعض القبائل البدوية مقابل حمايتها، أو القبائل المسيطرة على الطرق التجارية، والطريقة الوحيدة لضمان سلامة القوافل هي الاتفاق والخضوع لشروط وأحكام تلك القبيلة، وفي هذا الموضوع يقول الحسن الوزان "غير أن أهل مزاب يؤدون الإتاوة إلى الأعراب ويخضعون لهم"[1]، هذه الإتاوة كما يظهر هي المقابل الذي تتلقاه القبائل البدوية مقابل حمايتها لقوافل المزابيين المتجهة إلى الشمال أو العائدة إلى الصحراء (الوطن)، وهذا حال كل من له قافلة يريد مرورها بسلام، ومن بين القبائل التي يدفع المزابيون لها، قبيلة "أولاد مختار" بضواحي المدية، حسبما يظهر في الرسالة التي أرسلها شيخ القبيلة "بن عودة بن احمد" إلى قائد قواة الاحتلال، ففي النسخة العربية ذكر مايلي: "... وأما بني مزاب تقلهم عادتنا وكيف لك تامرهم يعطون عادتنا"، فهنا دلالة على دفع المزابيين إتاوة عبور سنوية مفروضة حماية لرؤوس أموالهم من قطاع الطرق[2].

إن دفع الإتاوة إلى البدو كان يتم أحيانا من طرف "مجلس المدينة"[3] في مختلف القصور، ويظهر ذلك في اتفاق لجماعة غرداية على سوق البلاد سنة 1114هـ (1702م)، من خلال مجموع مخطوط القاضي بوفاره، حيث يقول: "...إذا واحد من البلاد تلاقى مع العرب في الصحراء وتكلم مع كبير القافلة أن يتسوق هو والقافلة بلادنا وقال له نعطيك كذا أو كذا وقدمت القافلة إلى البلاد بخيرها فعلى الجماعة أن يعطوا ما وعد به ذلك الرجل؛ هذا صلاح الجميع..."[4]، وكذا اتفاق لنفس المجلس وقع سنة 1115هـ (1703م): "واتفقوا على الخطية التي يحكموا بها على الناس فلا يأكلوا منها شيء توضع عند الأمين ويصرفوا منها مضالم البلاد يعني فيما يلزم على البلاد إلى الغير مثل الرقاس أو كبير من كبراء العرب الذي يجلب الصلاح إلى البلاد..."[5] بمعنى أن البلاد تحمل على

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 135.

[2] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 373-374.

[3] تعريف هذا المجلس في المبحث الثاني من الفصل الأول في مبحث النظم والقوانين والسلطة المسيرة لها.

[4] القاضي بوفاره، المصدر السابق، ص 51.

[5] نفسه، ص 50-51.

عاتقها دفع الإتاواة للبدو الذين ترتبط معهم[1]. وهذا الاتفاق الثاني يحمل الكثير من الدلالات منها صفاء مال الخزينة من مال الخطية وهي نوع من الضريبة على الخطأ الفردي أو الجماعي، تصرف في أمور تهم البلاد لكن على المستوى الخارجي يعني لا تصل إلى الأفراد، وهذا له معنى ديني عميق.

ثانيا: المداولات النقدية

تعتبر العملة أو السكة من أهم دعائم الاقتصاد في أي دولة في العالم، فهي الأساس في جميع المعاملات وفي مختلف مجالات الاقتصاد، وفيما يلي عرض حول العملة في منطقة وادي مزاب خلال الفترة الحديثة فترة تواجد العثمانيين في الجزائر؛ لا بأس ببعض التفصيل في تاريخ العملات المتداولة في الجزائر العثمانية قبل التطرق للعملة في مزاب، ذلك أن مزاب جزء من الجزائر، وأنها تعاملت بنفس العملات.

بدأت صناعة وضرب العملة العثمانية في الجزائر بمجرد تولي عروج بربروس على مدينة الجزائر بعد قضائه على ثورة سالم التومي مثلما يذكره الحسن الوزان، فيقول: "... إلى أن أتى بربروس فقتله، ونودي به ملكا فضرب السكة وأذعن له جميع السكان بالطاعة وأرسلوا إليه الخراج..."[2].

أما عن دور النقود فقد كانت في الجزائر العثمانية داران لذلك، أولهما في تلمسان وهي التي ورثها العثمانيون عن الزيانيين، بحيث تسك الدنانير الزيانية باسم السلطان العثماني، والدار الثانية كانت في مدينة الجزائر عاصمة الإيالة وقد تأسست في عهد العثمانيين، ثم بنيت دار جديدة في القصبة أواخر العهد العثماني بالجزائر وضربت سكة جديدة فيها كما يقول شريف الزهار في مذكراته: "فانتقل إلى الدار الجديدة. وابتداوا بصنع المعادن على خلاف الطريقة القديمة ولما دخلت سنة 36، امر بصنع قطع السلطاني الذهب، عوض الدينار.."[3]، وقد حرص العثمانيون في هذا الموضوع

---

[1] ناصر بالحاج، النظم والقوانين...، المرجع السابق، ص 374.

[2] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 39. **أنظر**: ناصر بالحاج، النظم والقوانين...، المرجع السابق، ص 357-358.

[3] **أنظر**: أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1168-1246هـ/1754-1830م)، تح. أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص 147.

وضبطوه جيدا بحيث يقدم المفتي والقاضي رجلا للداي فيعينه أمينا للسكة بدل التعيين المباشر من طرف واحد[1].

كثرت العملات في العهد العثماني بالجزائر ودخلت في اضطرابات كثيرة خاصة أواخر القرن الـ 17 وبدايات الـ 18، نذكر منها على سبيل المثال:

- السلطاني وهي قطعة نقدية عثمانية ذهبية تضرب في الجزائر.
- الدرهم الفضي، 10 منها تساوي ريالا إسبانيا.
- الخروبة، سدس الدرهم، وهي قطعة نحاسية استعملت كعملة حسابية.
- الدينار الذهبي الزياني، نصف الزياني، ربع الزياني.
- ريال دراهم صغار، التي حلت محل الخروبة والدنانير الخمسينية.
- قرش الجزائر.
- الريال بوجو.
- الدورو الفرنسي
- الفرنك الفرنسي.
- الريال الإسباني.

وغيرها من العملات أو التعديلات المستمرة في الأوزان والمعدلات[2].

لم يكن حال منطقة واد مزاب مختلفا كثيرا عن المناطق الداخلية في الجزائر من حيث العملة، وإنما كانت المداولات النقدية تتم عبر العملات المتوفرة في تلك الفترة، خاصة وأن مزاب كانت له تجارة في المدن الشمالية وله علاقات مع مختلف مناطق البلاد، فلا يمكن أن يتعامل بعملة فريدة أو نادرة أو خاصة به فقط، ومع ذلك فإن هذا لا ينفي وجود عملة خاصة بمزاب، كما يورد في بعض

[1] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 358.
[2] نفسه، ص 360-361.

نصوص المعاملات[1]، وما يقوي هذا الاحتمال هو ما ذكره الإدريسي عند وصفه لمدينة وارجلان في القرن 12م[2]،حيث يقول: "وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم وهم وهبية أباضية نكار.."[3]، ومنها يمكن أن نقيس على واد مزاب[4].

وفي نفس الوقت فإن مجلس واد مزاب الأعلى حرص على اعتماد السكة العثمانية الجديدة التي أصدرتها الإيالة، حيث أصدر سنة 1827م قانونا يقضي بذلك: "الحمد لله وحده مجلس أبي عبد الرحمن الكرثي رحمه الله خمسة قصور على أن يجوزوا فيما بينهم في معاملاتهم وتصرفاتهم في أمورهم السكة الحادثة في الجزاير المنسوبة إلى ثلاثة أرباع القديمة في أول شعبان إلا ما كان قديما قبل تجوز بها المعاملة، انتهى في أوايل شعبان سنة 1242"[5]، ولعل إصدار اتفاق في موضوع كهذا لا يعبر فقط عن الاهتمام بالاقتصاد وتوحيد العملة في مزاب، وإنما يحمل كذلك دلالة على التبعية والولاء للإيالة[6].

ومن خلال نصوص في معملات بعض التجار نجد أن العملات المعتمدة فيها هي عملات عثمانية أو من المتداولة في تلك الفترة، حيث ينقل لنا الدكتور بالحاج ناصر بعضها، يقول: "جاء في زمام السيد "أبي بكر بن باب بن ابراهيم والحاج داود بن سليمان بن الحاج احمد امناسن"، من خلال إحدى المعاملات التي تعود إلى شهر رمضان 1242هـ (1827م) والتي لا يظهر نصها بوضوح، أن

---

[1] نفسه، ص 359.

[2] نفسه، ص 360.

[3] الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبع بريل، لَيدن، 1863، ص 120-121.

[4] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 360.

[5] نص الاتفاق الأصلي موجود في كتاب:

Milliot L. & Giacobetti A., Recueil de délibérations.., Cliché n°37.

وكذا: عزابة وعوام واد مزاب وغرداية خصوصا، موانع العامة، نسخ: الشيخ بالحاج بكير بن محمد نقلا عن الشيخ أبو اليقظان، مخطوط، ص47.

[6] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 362.

شخصا يدعى سليمان غصب منه أموالا قدرها "ثلاثة وأربعين سلطاني ذهبا ضرب الجزاير"[1]، وغيرها من الأمثلة الكثيرة من النصوص والزمامات الخاصة بالأفراد، لكن ينقص ما هو رسمي من وثائق واتفاقات إلا بعض ما ورد عن المجلس الأعلى لواد مزاب أو مجالس المدن، وذكر منها مثال آنفا، وربما ستظهر بعضها يوما ما.

كما توجد إشاراة في بعض الوثائق ونصوص القوانين لاستعمال عملات منها، الريال الكورنتي، الريال التونسي، الريال الثماني، الريال الإسباني، الدورو الفرنسي، الفرنك الفرنسي[2]. بالمقابل حرصت النظم في مزاب على حماية العملة من التزييف أو التلاعبات، وشدّدت العقوبات على من يُقدم على ذلك، وقد حدث أن تمّ اكتشاف عاملين في السوق قاموا بتزييف العملة، فاجتمع مجلس (غرداية)[3] للفصل في الأمر، حيث يقول الاتفَاق: "الحمد لله وحده، هذا تقييد ما اتفق عليه أولوا الأمر من المسلمين من العزابة وأولوا النظر ممن تابعهم من الطلبة والعوام حين رأوا **دغلا في الأثمان السالكة** بينهم ومعظمه جار على يدي الموالي لأنهم هم المتولون للأسواق من الطوافة والقصابة والمكيلات والموزونات والصيارفة وأمور العامة كلها وقد اتهموا منهم عشرة بل منهم من ظهرت عليه صراحا ومنهم من اتهموه وإن كان غيرهم من الأحرار مؤازرا... [ذكر أسماء المتهمين] وقد اتفقوا على هؤلاء أنهم لا يرجعون إلى هذه الصناعات ولا يدخلون حرفة الموالي أبدا ما داموا أحياء ولا يقبل منهم عدل ولا شفيع أبدا فمن جاء مستشفعا فيهم فإنه يبرء منه ولا تقبل توبته سنة ويحكم بحكم العوام وهذا الحكم جار عليهم وعلى جميع من فعل مثلهم في المستقبل من أبناء جنسهم ويزاد على ذلك التغريب أربعة أعوام على ساحل البحر وكذلك الأحرار الذين **يدخلون الفساد في السكة** فإنهم يغربون أربعة أعوام بعد حكم العوام وذلك بعد إقامة البينات العادلة عليهم في المستقبل وقد

[1] نفسه، ص 362-363.

[2] نفسه، ص 364-367.

[3] يبدو من خلال السياق وأسماء الحاضرين أن هذا الاتفاق لبلدة غرداية.

حضر في هذا الاتفاق جم غفير...[ذكر أسماء الحاضرين] وقيد بتاريخ شهر رمضان سنة 1197 من الهجرة بإذن العزابة"[1] (1783م)[2].

ثالثا: السلع المتداولة

بما أن تجارة القوافل كانت مزدهرة خلال الفترة الحديثة، فإن العامل الأهم هو جودة السلع التي كانت تحملها هذه القوافل، والقافلة المزابية كانت تعد أفضل القوافل الداخلة إلى مدينة الجزائر، بحكم ما تشتمل عليه من مواد نادرة وسلع متنوعة ونفيسة، حيث حاول تجارها توفير الحاجيات الأساسية للسكان بل روجت كذلك للصناعة المحلية في الخارج، يقول محمد وقاد: "كما يُحسب على بني ميزاب إسهامهم في التعريف ببعض المنتجات الجزائرية وترويجها في أسواق إفريقيا وخاصة بلاد السودان... وبفضلهم أيضا وصل المرجان الجزائري المستغل من طرف الشركات الأوروبية والموجه إلى الأسواق العالمية"[3]، وسنحاول من خلال هذا المطلب عرض أهم السلع التي كان بنو مزاب يتاجرون بها في قوافلهم سواء المتجهة إلى الشمال أو إلى الجنوب.

من السلع الرائجة في تلك الفترة ريش النعام، وكانت من بين أهم السلع التي كان المزابيون يحملونها في قوافلهم، فهي سلعة متداولة بكثرة في الشمال بل وتصل إلى أسواق أوروبا وأمريكا كذلك، حيث يذكر فونتير دو بارادي أنه في القرن الثامن عشر "ريش النعام كان يحمل إلى مدينة الجزائر منذ حوالي 25 سنة كفرع تجاري هام، يقدّم بلد مزاب الكمية الأكبر منه، حيث يقتنيه المورسكيون واليهود، ومنه يمر إلى ليفورن وفرنسا"[4]. إضافة إلى ريش النعام اشتهر أيضا إحضار النعام بحد ذاته مع القوافل من الصحراء، فيذكر شلوصر مثلا: "ويعثر المرء هنا [يقصد قسنطينة] أيضا على النعامة، وقد حمل عرب الصحراء عدّة مرات نعامات يافعة ارتفاعها أربعة أو خمسة أقدام هدية إلى أحمد باي"[5]،

---

[1] عزابة وعوام واد مزاب وغرداية خصوصا، موانع العامة، المصدر السابق، ص 24-26.

[2] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 369.

[3] محمد وقاد ، مرجع سابق ، ص 179-180.

[4] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 375.

[5] شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، تر. تق: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، 2007، ص 101.

فحسب المصادر الأخرى فإن القوافل المزابية من القوافل التي كانت تحمل هذه السلعة وتحط في أسواق قسنطينة، وعرب الصحراء يقصد بهم سكان الصحراء أو كل من هو من الصحراء،لأن الكاتب أجنبي.

تقف القوافل المزابية القادمة من السودان وجنوب الصحراء في مزاب كمحطة عبور وتكون معها سلع مهمة للمنطقة بل وأساسية لتغطية حاجيات السكان وهي خصوصا: "الإبل والغنم والصوف والسمن والزرع"[1]، ثم تكمل طريقها إلى الشمال وهي تحمل سلعا كثيرة كريش النعام والتبر وقطعان الجمال والتمر والعبيد[2]، ويمكن أن نقول أنها كانت علامة مسجلة باسمهم، حيث ذكر محمد وقاد ذلك: "... وأما ريش النعام المحلي المتواجد "بورقلة" ونواحيها فلم يكن ليعرف خارج حدود الإيالة لولا ترويج بني مزاب له"[3].

في القرن الثامن عشر الميلادي كانت القوافل المارة على غرداية تحمل إلى الشمال التمور والملح والعاج والذهب والجلود والأقمشة وريش النعام، وإلى الجنوب الحبوب والزيت والسكر والنحاس ومنتوجات مصنوعة بالتل وأوروبا[4].

كما كان العبيد من السلع الرائجة المهمة في تلك الفترة في الجزائر العثمانية، وكان مصدرها الرئيسي هو بلاد السودان، ويتم نقلهم إلى الجزائر بشكل كلي عن طريق الحدود الجنوبية، وتحملهم القبائل البدوية التي تقدم كل سنة إلى الشمال للتزود بالحبوب من أسواقها، وكذلك عن طريق تجار كبريات واحات الجنوب، والمزابيون جزء منهم[5].

---

[1] القاضي بوفارة، المصدر السابق، ص 51.

[2] ويليام شالر، المصدر السابق، ص 112.

[3] محمد وقاد ، المرجع السابق ، ص 180.

[4] يوسف الحاج سعيد، مرجع سابق، ص 56.

[5] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 376.

وقد بقي بنو مزاب مهتمين بهذه التجارة إلى غاية القرن الـ19م مثلما يؤكده سيمون بفايفر بقوله بأن المزابيون يشتغلون بالتجارة، ويتاجرون في الغالب بالعبيد[1]، وفي تقرير فرنسي سنة 1845 حول التجار المزابيين في مدن الشمال الشرقي، يقول بأن حوالي عشرين تاجرا من المزابيين كانوا يقصدون أسواق مدينة مجانة سنويا، ويحملةن معهم العديد من السلع منها العبيد، يقول: "يأتون إلى بوسعادة خلال الصيف، يحملون معهم أقمشة خشنة من الصوف مصنوعة في بلدهم [مزاب] وبعض العبيد، يتبادلون مع القبائل خاصة قبائل بجاية، منتوجات أرضهم، الزيت، الصابون، الفواكه... خشب البنادق، أدوات المنزل الخشبية وغيرها. بنو مزاب يشترون من بوسعادة القمح، الشعير، الخرفان، الصوف..."[2].

تجمع القوافل العبيد من أعماق إفريقيا، ثم تدخل البلاد وتمر على حواضر عديدة منها توات ومزاب، ويتم نقلهم إلى الشمال مع السلع الأخرى، فحسب جريدة "الأخبار" (AL AKHBAR) في عددها الصادر في 13 أكتوبر 1845 أن "قافلة لبني مزاب حملت معها 20 عبدا أسودا من الجنسين، بعضهم تم إيداعهم لدى أمين بني مزاب، والآخرون لدى قايد السود لبيعهم. أغلبهم أطفال، والآخرون مراهقون". وكان العبيد حسبما شهده الأجانب في النصف الأول من القرن الـ19 "يخصصون بشكل كلي للأعمال المنزلية للعائلة، لا نراهم يكلّفون بالأعمال الشاقة التي يقوم بها العمال من الأهالي، يبقون بعيدين عن أداء أعمال الفلاحة، ما عدا من عند القبائل البدوية حيث تجد بعضهم رعاة"[3].

وأما عن طريقة جلب العبيد، فيروي لنا بعض الذين احتكوا بالمتأخرين منهم أمثال الأَمة مباركة "مباركة نْ لجنّة"[4]، أنهم يأخذون من أهاليهم وعائلاتهم وهم صغار، بواسطة وضع حبات الفول

[1] سيمون بفايفر، مذكرات..، المصدر السابق، ص 130.

[2] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 377.

[3] نفسه، ص 377-378.

[4] أمة كاسي ن بوهون القراري، جاءت إلى غرداية وبقيت مع عشيرة آت باخة تعمل وتتقوت عند أهلها وتنشط في أعراسها ومناسباتها إلى أن توفيت.

في الأرض فيتبعها هذا الصغير وهو (أو هي) يجمعها واحدة واحدة إلى أن يكون في معزل عن أهله فيتم أخذه ووضعه في كيس ويُجلب إلى القافلة، وهكذا يتم التعامل مع الآخرين، واشتهرت –حسب هؤلاء العبيد– قبيلة الشعانبة في القيام بهذا العمل بجلبهم من أعماق أفريقيا إلى أسواق الحواضر الجزائرية[1]، وربما توجد طرق أخرى، فهذا مثال ليس إلا.

ومن بين السلع التبر[2]، وقد ذكر آنفا في موضوع العملات، بحيث يتم إدخاله من بلاد السودان مثلما ذكر الإدريسي بأن مدينة وارجلان كان "فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر.."[3]، يُحمل عن طريق القوافل المتجهة إلى الشمال الإفريقي مرورا بالحواضر المهمة مثل مزاب التي تعتبر كما ذكر سابقا بأنها مجمع الطرق ونقطة عبور مهمة. كما أن تجار السودان كانوا يحملون معهم الكثير من الذهب، والسودان مرتبط بطريق القوافل مع مزاب فإن الذهب السوداني كان يدخل أسواق مزاب والأسواق الأخرى، كما يوضحه المنور مروش، فمدينة فاس مثلا استقبلت سنة 1594م ما مقداره "ستين قنطارا" ذهباً حسب مصدر إنجليزي، وكان المغاربة يبادلون الذهب بسلع أخرى منها الملح وسلع مستوردة من أوروبا[4]. وعند سيطرة صالح رايس على مدينة وارجلان (ورقلة) وفرار حاكمها، وجد بها "أربعين رجلا زنجيا جاؤوا لبيع العبيد حسب عادتهم، حيث لم يستطيعوا الفرار من المدينة حين حلول الأتراك بها، وهم جد أغنياء "حيث وجد بحوزتهم" 200 ألف دينار ذهبي"[5].

---

[1] إستجواب شخصي للجدة الكريمة: باباوموسى مامة خديجة بنت صالح أخ الشيخ حمو بن باحمد باباوموسى وقدأخذت عنه وعن عمها الشيخ محمد بن باحمد الكثير، وهذا بمنزلها، يوم 2020/09/07م.

[2] ما كان من الذّهب غير المضروب أو غير المصوغ أو في تراب مَعْدنه "مَناجم التِبْر".

[3] الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان..، المصدر السابق.

[4] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص 378-379.

[5] نفسه، ص 378. **أنظر كذلك**:

- Fray Diego de Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER, TRADUITE ET ANNOTÉE PAR H.-D. DE GRAMMONT- ADOLPHE JOURDAN « Alger » - 1881, p 87.

اشتهر المزابيون كذلك في تجارة القوافل ببيع التمر، حيث أن إنتاجهم لم يكن يغطي فقط منطقتهم وإنما وصلوا إلى تصديره للمناطق الأخرى خاصة مدن الشمال، فيقول شالر: " والمزابيون يستوردون إلى الجزائر العبيد والتبر وريش النعام والجمال والتمر.." ويقول كذلك: "لدى وصول قوافل المزابيين إلى الجزائر، كثيرا ما أشتري منهم تمرا من أرفع الأنواع يتكون من عناقد تغلف في جلد معزة جاف ويتراوح وزنها بين ستة وثمانية أرطال، وذلك بسعر أقل من دولار واحد"[1].

وتتم كذلك عمليات المبادلة في أسواق مزاب من سلع محلية ومنسوجات من صنع المزابيات وفائض التمور بسلع بدوية يحتاجها المزابيون مثل الصوف والسمن وغيرها من خيرات البادية، يقول أحد الباحثين: ..اقتصاد المنطقة كان يتعاون على حمله كلا الجنسين، فبينما كان الرجل يظل في بستانه مكابدا لقساوة الطبيعة ولغارات العدو [وتاجرا في مدن الشمال]، كانت المرأة تغزل وتنسج في منزلها... تمثَّل النسيج في الفرش والأنسجة، أما الفرش فهي مثل تناشرا [أكتيف، بربوشا] وما يسمى بزربية بني يزقن والحنبل..."[2]، والإنتاج السنوي في وادي مزاب من الملابس الصوفية في القرن الـ18م حسب أحد الباحثين الفرنسيين يقدر بسبعين ألف قطعة، وكان آنذاك حوالي سبعة آلاف امرأة تشتغل في النساجة بالبيت، وكان يدخل إلى مزاب سنويا ثلاثون ألف جزة صوف[3].

ومن بين السلع الهامة المتداولة وكانت رائجة في واد مزاب هي تجارة البارود وما تعلق بها من الأدوات الحربية، كما ذكر سابقا أن بني مزاب يشترون خشب البنادق، وهي مادة تنتج محليا، ومن العائلات المعروفة في غرداية بصنع هذه المادة عائلة الحاج شعبان (بارودا)، أما التجارة بها ونظرا لخطورتها فقد كانت تحت سيطرة وإشراف مجلس المدينة في مختلف مدن مزاب، وشددت هذه القضية

[1] وليام شالر، المصدر السابق، ص 112.

[2] علال ليندة، دور الحركة التجارية في ازدهار قصور إقليم توات ووادي مزاب وتطورها خلال العصور الحديثة (10هـ إلى 13هـ/16م إلى 19م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، المدرسة و.م.ت للهندسة المعمارية والعمران، 2011-2012، ص 205.

[3] نفسه.

أكثر مع معاهدة 1853م التي تعهد فيها بنو مزاب لفرنسا بعدم بيع السلاح للبدو[1]، لكن ذلك لم يحدث، وبقي بنو مزاب يبيعون السلاح والبارود واستمرت التجارة كما هي وهذا من بين الأسباب التي اعتمدتها فرنسا لاحتلال واد مزاب سنة 1882[2].

[1]عمر بن عيسى الحاج محمد، مذكرات ووثائق..، المصدر السابق، ص 79.

[2] ناصر بالحاج، النظم والقوانين..، المرجع السابق، ص380.

الخاتمة

موضوع بحثنا أخذ أهميته من كونه يتناول فترة تاريخية غير منظور إليها بعمق وتفصيل من حيث الدراسة، وهي الفترة الحديثة في واد مزاب، حيث نلاحظ في هذه المرحلة أن الدراسات عليها ناقصة ولو أجزاء من موضوعها سواء على المستوى المحلي أو الوطني أو العالمي، فأغلب الدراسات تأخذ جزئية وتركز عليها أو تكون ضمن موضوع آخر، أو يلمح لهذه الفترة على السريع في إطار موضوع بحث يتحدث عن المزابيين في التل وغيرها، لذلك حاولنا من خلال هذا العمل أن نبرز شيئا كان مخفيا نوعا ما أو أن نجمع ما كان متناثرا في عدة دراسات أو كتب أو وثائق، ونقدمها للقارئ جاهزة كاملة.

وحاولنا منذ انطلاقنا في خوض غمار هذه الدراسة أن نعتمد بشكل أساسي على المادة المصدرية العلمية، المتمثلة في الاتفاقات والقوانين والمراسيم والأعراف والمراسلات الصادرة عن مجالس المدن والمجلس الأعلى لوادي مزاب، هذه المادة الثرية بالمعلومات التي ربما تخصص دراسة كاملة لواحدة من الاتفاقات أو الرسائل، وهي بالمناسبة ليست كلها منشورة أو محققة ففيها مترجم وفقط أو محفوظ في خزائن المشايخ أو رفوف المكتبات الخاصة وغيرها، والشكر موصول للفاعلين في موضوع إخراج هذه الكنوز من مخابئها وإظهارها للعلن ليستفيد منها الباحثون والمهتمون، ولنستقي منها تراثنا المكنون، ومنها مكتبتي الشيخ عمي سعيد المركزية قسم التراث والمكتبة، وجمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث بغرداية وغيرهما.

وكذا الاعتماد على بعض المصادر المهمة للموضوع ولو تقديم بعض الإشارات عنه، وكذلك بعض المصادر الأجنبية التي نقلت لنا بعض الاتفاقات أو كان أصحابها رحالة شهدوا الفترة المدروسة وغيرها، ولم نهمل كذلك الجانب الشفوي مع شخصية مهمة تنقل بعض المعلومات التي تَكمل موضوعنا.

من خلال هذه الدراسة وهذا الجهد الذي نأمل أن يقدّم إظافة نوعية في مجال البحث العلمي وللقراء، نستخلص عدة استنتاجات ونتائج، سواء في الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، في مزاب أو في مدن التل حيث تواجد المزابيين. منها:

الدور الكبير الذي قام به بنو مزاب في العاصمة من مساهمات عسكرية واقتصادية، وحتى قيمية، ساهم في رسم صورة طيبة على بني مزاب في العاصمة وحتى في المنطقة، حيث أعطت هذه المواقف صورة واضحة عن قيمة الفرد المزابي، وقيمة مجتمع متماسك ومتحد يحافظ ويدعم استقرار بلاده.

هجرتهم من المنطقة من أجل الكسب الحلال ووضع بصمتهم في الجانب الاقتصادي من خلال احتكار مهن رئيسية وهي (الأفران- الحمامات-الجزارة -الرحى)، ومهن أخرى، مثل الفندقة ونقل البضائع والحفافة والبقالة، إضافة إلى مساهمتهم العسكرية والاجتماعية.

الحملات التي وصلت إلى المنطقة لم تكن للردع أو العقاب، بل كانت لتجديد وضمان الولاء، من خلال دفع لزمة كدليل على ذلك، وبني مزاب سبق لهم إظهار الولاء من مساهمتهم في صد الإسبان في تونس والجزائر وفي عدة مواقف، ولم تذكر المصادر أنهم امتنعوا عن دفع الضرائب، بالمقابل تذكر أنهم كانوا يلتزمون بدفعها في وقتها.

الضرائب التي كان يدفعها بنو مزاب في العاصمة فهي عبارة عن إتاوات تدفعها كل طائفة مقيمة بالجزائر ويجمعها أمين الطائفة مثلهم مثل الطوائف الأخرى، ولم تكن لها علاقة بالضرائب التي يدفعها أهل المنطقة.

من خلال الاطلاع على الاتفاقات والقوانين تبين لنا أنه على مستوى كل مدينة من مدن مزاب هيئة مسيرة يطلق عليها مجلس المدينة، وهي قسمين: العزابة والعوام، فقد كان هناك تلاحم بين الطرفين في قضايا المدينة المهمة، والعزابة وحدهم لديهم مجلس خاص بهم يمثل الهيئة الدينية على مستوى كل مدينة، والعوام كذلك لديهم مجلس خاص بهم منبثق من العشائر الموجودة على مستوى كل مدينة. كل حسب اختصاصه وعمله. وتبين أيضا أن السلطة العليا والكلمة الأخيرة تكون للعزابة أو العلماء في هذا المجلس.

مجلس وادي مزاب الأعلى، الممثّل للمزابيين في كامل مناطق تواجدهم، يشمل ممثلين عن الهيئات الخاصة بالمدن عزابة وعواما، بحيث يفصل هذا المجلس في القضايا المهمة الشائكة والأمنية والنوازل الدينية والاجتماعية، وله مهمة تمثيل وادي مزاب على المستوى الخارجي، مع العثمانيين أو القبائل البدوية وغيرها، وكذلك يمثل مجلس الاستئناف في القضايا الكبيرة أو المطعون فيها، ويصدر القوانين التي تهم البلد الكبير، ويحل خصومات ومشاكل المدن وهيئاتها، ويعين الأمناء على مستوى المدن التي يتواجد فيها المزابيون، وكذا التوسط لدى الإيالة لحل مشاكلهم مثل رسالتهم إلى الداي علي في موضوع المضايقات التي يعاني منها المزابيون في المساجد بالشمال وغيرها من المهام الكثيرة.

حرص المزابيون ممثَّلين في المجلس الأعلى على مستوى وادي مزاب في الحفاظ على العلاقة مع سلطة الإيالة حسب ما تبينه الوثائق المعتمدة، بدليل دفع رموز الولاء والالتزام بها، وما تقره الإيالة من قوانين، ومنه اعتماد العملة العثمانية وغيرها. وكذا العلاقة التي وطّدها مزابيو الشمال بمساهماتهم العسكرية والسياسية والاقتصادية.

تطوير التجارة الصحراوية عن طريق القوافل، والسلع المهمة والجديدة على بعض المناطق، خاصة وأن المزابيون كانوا يشقون طرق إفريقيا لجلب سلعها ونفائسها مثل التبر وريش النعام والذهب، ومن جهة أخرى يتبادلون السلع مع الجانب الأوروبي، ويحيون أسواق الإيالة بسلع متنوعة ونفيسة. وفي نفس السياق تبين من خلال المادة المصدرية كذلك أن أسواق منطقة مزاب –خاصة سوق غرداية– كانت مركزا تجاريا هاما للقوافل العابرة ومحطة تبادل وتخزين وبيع وشراء، ومنه فإن السلطة المحلية أصدرت عدة قوانين لضبط التجارة والمعاملات النقدية، خاصة وأن السوق يقصده مختلف الأجناس، من بدو وسود وأجانب وغيرهم. وجدنا هذه القوانين في اتفاقات المجالس المحلية أو مجلس وادي مزاب وفي تقارير جلساتها.

نتمنى أن يكون هذا العمل رغم نقائصه إضافة نوعية لرفوف المكتبة الجامعية، وللقراء والباحثين، وتكميلا لمواضيع الفترة الحديثة وخاصة التي تهم المنطقة، ويكون بمثابة دليل ومرجع في هذا الموضوع، ولا يزال عملنا متواصل في مجال البحث التاريخي مستقبلا إن شاء الله.

الملاحق

- الملحق 01: صور لأحد مقرات اجتماع المجلس الأعلى لواد مزاب، روضة الشيخ عمي سعيد.
- الملحق 02: الصفحة الأولى من رسالة مجلس واد مزاب الأعلى للداي علي.
- الملحق 03: الصفحة الأولى من رسالة مجلس واد مزاب إلى القائد يحي آغا.
- الملحق 04: نموذج لاتفاق خاص بمجلس مدينة غرداية، فيه ضوابط للجزارين.
- الملحق 05: أقدم اتفاق موجود إلى حد الآن لمجلس واد مزاب الأعلى، وهو بتاريخ 807هـ/ 1405م.
- الملحق 06: بعض من قصيدة الشيخ بحيو بن موسى حول معركة جربة حين هاجمها الإسبان وساهم المزابيون في صدهم.

الملحق 01: مصلى وروضة الشيخ عمي سعيد أحد مقار اجتماعات المجلس الأعلى لواد مزاب الموجود بالمقبرة التي حملت إسم الشيخ.

الصورة 01: صورة المصلى من الداخل.

الصورة 02: صورة للمصلى من الخارج.

المصدر: تصوير شخصي.

الملحق 02: الصفحة الأولى من رسالة مجلس واد مزاب الأعلى للداي علي.

المصدر: مخطوطات خزانة الشيخ عبد الرحمن بكلي "البكري"- العطف (تجنينت) غرداية.

الرقم في الخزانة: د. غ 96.

الملحق 03: الصفحة الأولى من رسالة مجلس واد مزاب إلى القائد يحي آغا، ناسخها الشيخ بكير بن ابراهيم بن بكير اليسجني، نسخها حوالي سنة 1311هـ.

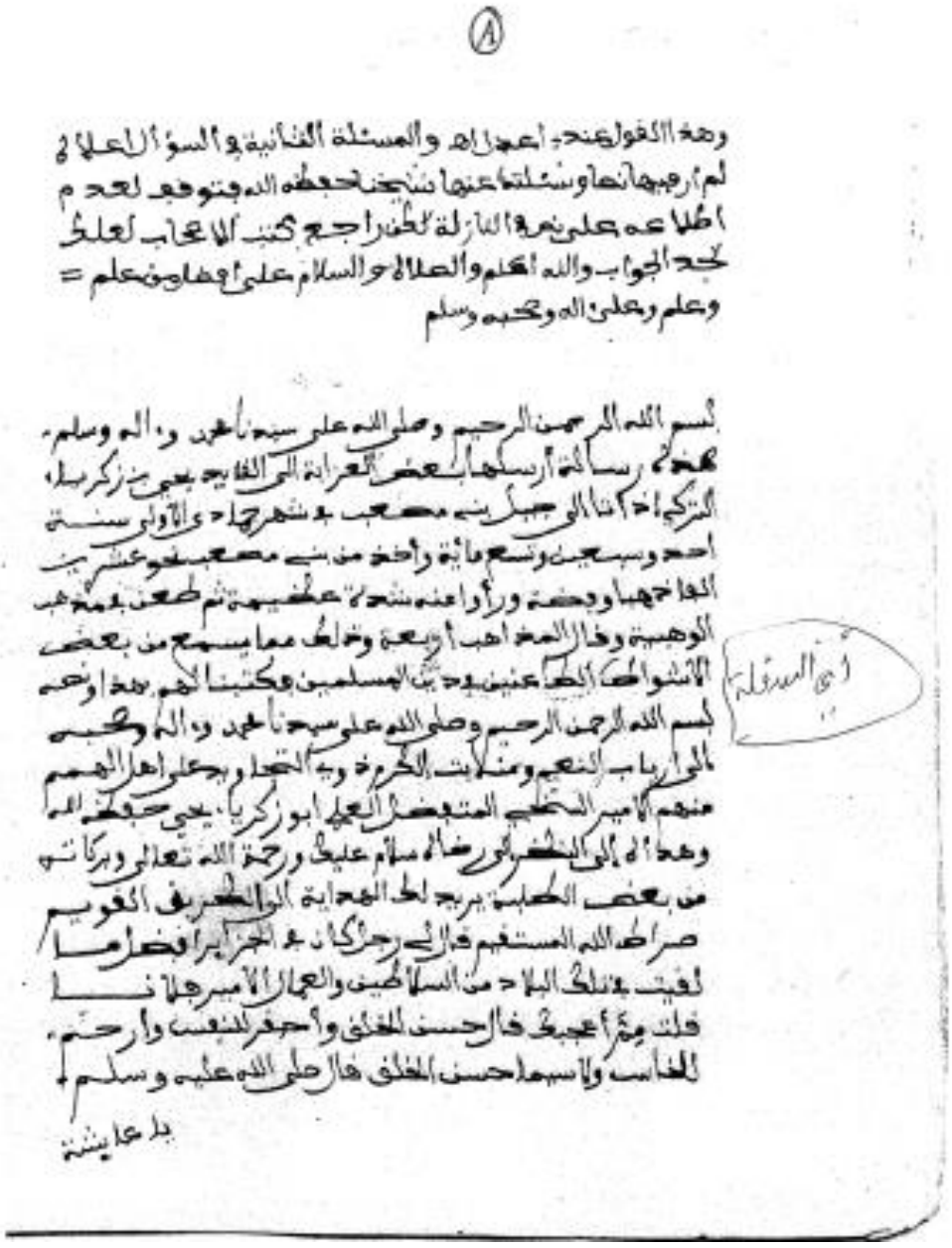

المصدر: النسخة تقع ضمن مجموع مخطوط ضخم من خزانة الشيخ صالح لعلي- بني يزجن- غرداية.

الرقم في الخزانة: م 82.

الملحق 04: نموذج لاتفاق خاص بمجلس مدينة غرداية، فيه ضوابط للجزارين.

اتفاق اخر ونصه

الحمد لله وحده. نقل رسم اتفاق مما اتفق عليه الاوايل من اهل غرداية طلبة وعواما من ذالك للجزارين من الناقة رأسها فقط وان كانت هزيلة قراسها ثم زيالة ولهم من الشاة لحمتان المسميتان بالبربرية تزلمات او صاع مرشعيرا ونصف صاع من قمح وصاحب الشاة مخير في ذلك ولهم ذراعان من المصران وقبض يد من الكرشة لاغير ومن أخذ اكثر من ذلك فهو سارق يحكم فيه حكم السارق وعلى الجزارين مسح الاداة مما ظهر على وجه الارض قبل دخولهم اياها واما ما كان في سوق العرب فحلو وصيف الجماعة والجزارين من البقر راسها لاغير والدخول في الجزرة بعد صلاة الظهر والخروج منها عند الغروب ومما اتفقوا عليه عليه از السوق لا يدخله احد من الطوافين الا بالضمين وليجتهد بالنصح وليجعل الله رقيبه وعليه المساوات لأرباب السلعة والسرعة في الخلاص فمن لم يقدر على ذلك فليجز اذ رسوق المسلمين

المصدر: عزابة وعوام وادي مزاب وغرداية خصوصا، موانع العامة، د.ن، ص 19.

الملحق 05: أقدم اتفاق موجود إلى حد الآن لمجلس واد مزاب الأعلى، وهو بتاريخ 807هـ/ 1405م.

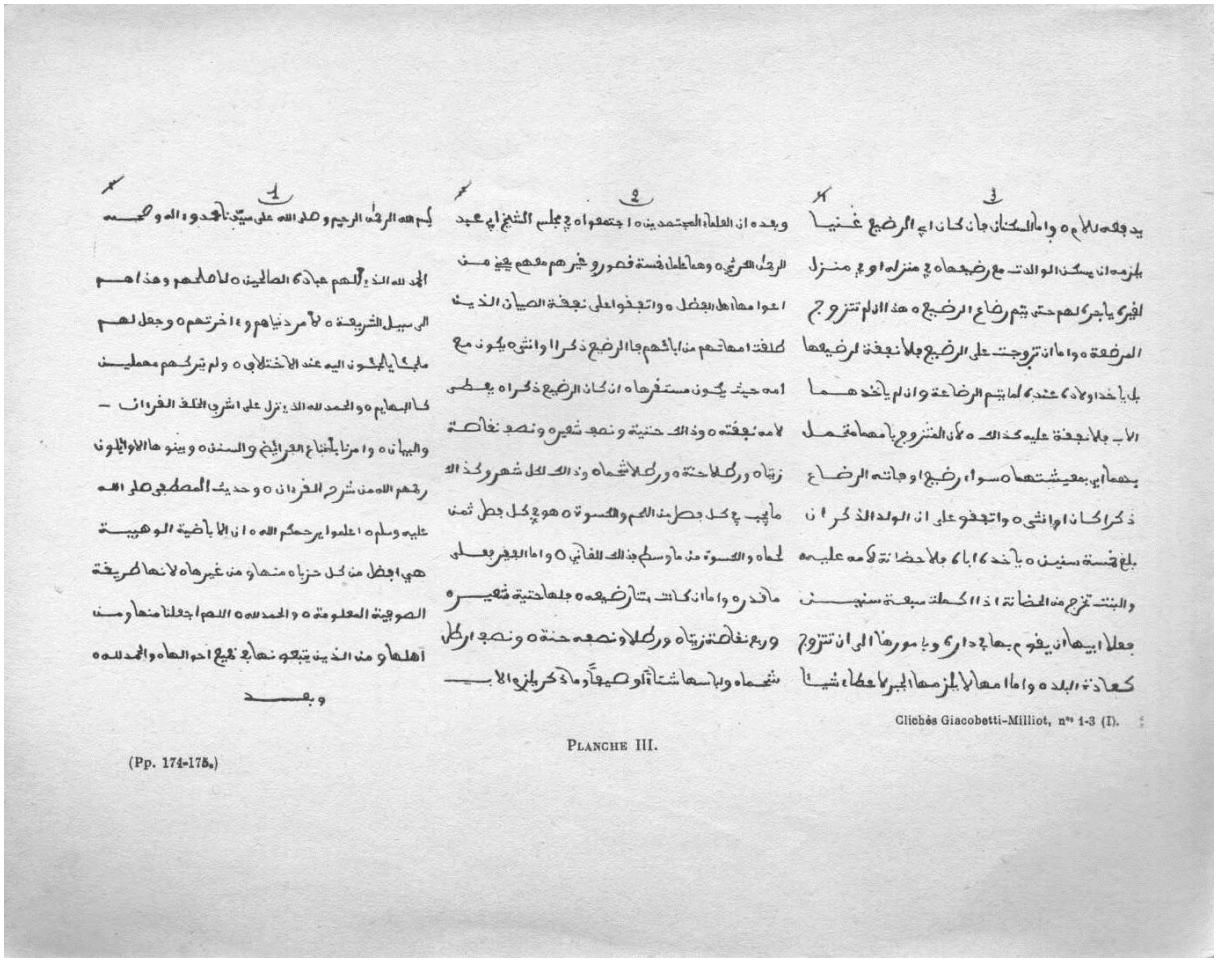

Clichés Giacobetti-Milliot, nos 1-3 (I).

PLANCHE III.

(Pp. 174-175.)

المصدر:

Milliot. L & Giacobetti. A, Recueil de délibérations des Djemaa du Mzab, Libraire Oriontaliste, Paris, 1930, Cliché n° 1-3.

الملحق 06: بعض من قصيدة الشيخ بحيو بن موسى حول معركة جربة حين هاجمها الإسبان وساهم المزابيون في صدهم.

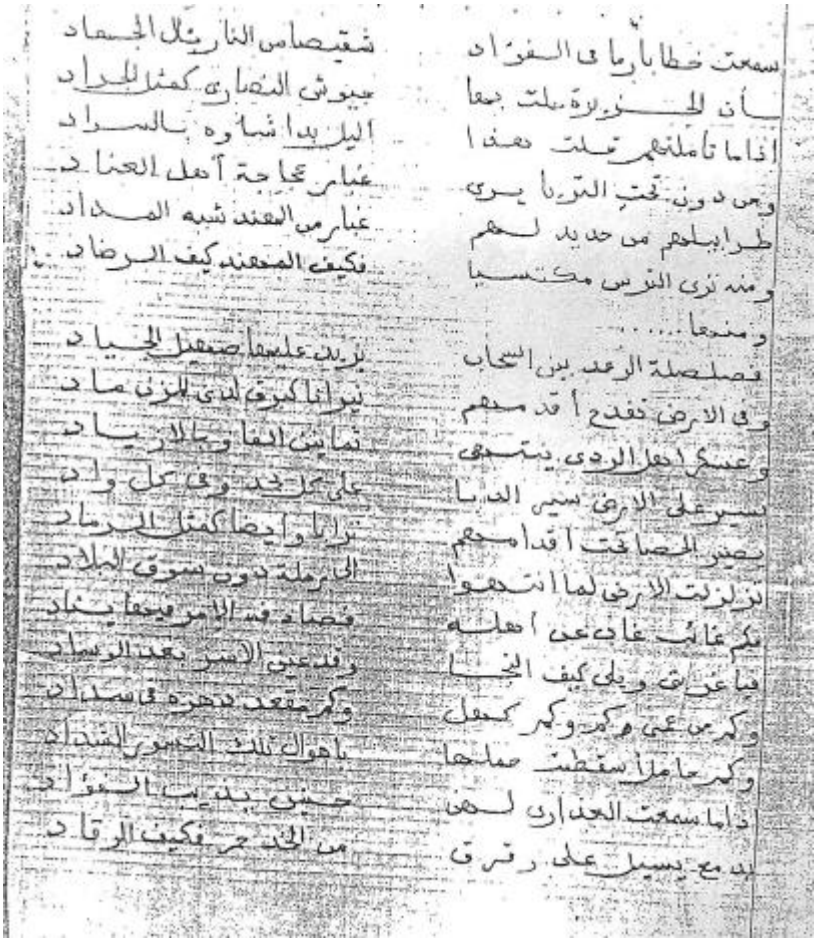

سمعت خطابا رماني الفؤاد
بأن الجزيرة نلت بعدا
إذا ما تأملتهم قلت هذا
ومن دون تحت الثرى يسري
طرابيلهم من حديد لهم
ومنه ترى الترس مكتسيا
ومنعا.....
فصلصلة الرعد بين السحاب
وفي الأرض تفدح أقدامهم
وعسكر أهل الردى يتسوق
يسير على الأرض سير الدبا
يصير الصفاقت أقدامهم
تزلزلت الأرض لما انتدبوا
بكم غائب غاب عن أهله
فيا عز ويلي كيف النجا
وكم من عمى وكم وكم كعمل
وكم حامل استطت حملها
إذا ما سمعت العذارى لهن
بدمع يسيل على وترق

شقيصاس النار مثل الجماد
جيوش النصارى كمثل الجراد
اليل بدا شاوه بالسواد
غبار مجاجة أهل العناد
غبار من العقد شبه المداد
فكيف المعقد كيف الرضاد

يزيد عليها صهيل الجياد
نيرانا كبرق لدى البرق ماد
نماس الدما وجالا رياد
على كل جند وفي كل واد
تراها وأيضا كمثل الرماد
الى رملة دون سوق الملاد
فصاد فما الأمر فيها يناد
وقد عين الأسر بعد الرشاد
وكم قعد دهره في سداد
باهوك تلك التسور الشداد
حصين بذيب الفؤاد
من الذعر فكيف الرقاد

المصدر: إبراهيم أبي اليقظان، ملحق لسير الشماخي، ج1، ص8-9.

المصادر والمراجع البيبليوغرافيا:

1. المصادر:

المخطوطة:

1. أبو اليقظان ابراهيم، ملحق سير الشماخي، ج1.
2. اطفيش محمد بن يوسف، الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل وادي مزاب، نسخة مخطوطة.
3. بعض العزابة إلى القايد يحي بن زكرياء التركي، نسخ الشيخ بكير بن ابراهيم اليسجني، ضمن مجموع مخطوط، خزانة الشيخ الحاج صالح لعلي، بن يزجن، الرقم: م 82.
4. بوفارة محمد بن براهيم، مجموع مخطوط، نسخة مرقونة، نقلت من نسخة مصورة لمخطوط محفوظ بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم 2342، جوان 2000.
5. الشيخ يوسف بن حمو اليسجني، مخطوط بيان التواريخ، خزانة مكتبة إروان، تجنينت العطف.
6. عزابة وعوام وادي مزاب وغرداية خصوصا، موانع العامة، نسخ: الشيخ بالحاج بكير بن محمد نقلا عن: الشيخ أبي اليقظان.
7. عزابة وعوام وادي مزاب وغرداية خصوصا، من كتاب موانع العامة، د.ن.
8. متياز إبراهيم بن نوح، تاريخ مزاب، مخ.
9. من جماعة بني مزاب، رسالة إلى الداي علي، الخزانة العامة، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، رقم300 (د. غ94).
10. مجهول، رسالتين، خزانة الشيخ عبد الرحمن بكلي (البكري)، العطف، غرداية، الرقم في الفهرس: د.غ 96.

المنشورة باللغة العربية:

1. ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت 2000م.

2. ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر 1980م.
3. الإدريسي الشريف، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبع بريل، لَيدن، 1863.
4. ابن هطال أحمد التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح، وتق: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، ط1، القاهرة يونيو 1969.
5. الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1168-1246هـ/1754-1830م)، تح: أحمد توفيق المدني، ش و ن ت، الجزائر، 1974.
6. بن بحمان ابراهيم، رحلة المصعبي، تح، تع: يحي بن بهون حاج امحمد، وزارة الثقافة، الجزائر العاصمة، 2007.
7. الحاج امحمد عمر بن عيسى، مذكرات ووثائق رسمية عن وادي مزاب من ناحيته الدينية والسياسية والاجتماعية، من 1853-1951م، مطبعة النهضة، تونس، 1371هـ 1951م.
8. بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق، تع: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974.
9. شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر1816-1824م، تح، تع، تق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982م.
10. الشويهد عبد الله بن محمد، قانون أسواق مدينة الجزائر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 2006.
11. الشيرازي عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: السيد الباز العريني، د.ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946.
12. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، د.ت، ج1.
13. الفاسي الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تر: حجي محمد والأخضر

محمد، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1983، ج2.

14.مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، تح: مختار حساني، الجزائر، منشورات دحلب، 1999م.

باللغة الفرنسية:

1. Abonneau Joël , Préhistoire du M'zab, thèse pour le doctorat de 3é cycle en art et archéologie, Paris, 1983.
2. Albert De voulx , Tachrifat, recueil de notes sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, Alger, Imp. Du gouvernement, 1852.
3. CHARLES Amat , Le M'zab et les mozabites, Paris, Challamel , 1888.
4. De Haëdo Fray Diego, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER, TRADUITE ET ANNOTÉE PAR H.-D. DE GRAMMONT-ADOLPHE JOURDAN « Alger » - 1881Venture de Paradis, Alger au XVIII é siècle, édité par Edmond Fagnan, Alger, Typographie , 1983.
5. Duveyrier .H, Coup d'œil sur les pays des Beni M'zab et celui des Chaambas occidentaux ,extrait de Bull. Soc .Geog.de paris, Octobre 1859.
6. Huguet .J, Le M'zab d'après les géographes et les voyageur, Compte Rendu du XXe Congrès des Sociétés de géographie ,1898, Alger.
7. J.Morel , Notules de préhistoire mozabite, Linyca, tome.XXVI, 1976.
8. LESPÈS René, ALGER Étude de Géographie et d'Histoire urbaines, 1925.

9. Masqueray Emile, Chroniques d'Abou Zakaria, imprimerie de l'association ouvrière v. Aillaud et c, Alger, 1878.
10. Milliot L. & Giacobetti A., Recueil de délibérations des Djemaa du Mzab, Libraire Oriontaliste, Paris, 1930, Cliché n° 1-3.
11. Shaw Tomas, Voyage dans la régence d'Alger.
12. VENTURE De PARADIS , VENTURE de Paradis ,Tunis et Alger au XVII é siècle ;mémoire et observations rassemblés et présentés par Joseph cuoq, La bibliothèque Arabe,1898.
13. W. Ragot , le Sahara de la province de Constantine ,Recueil des notices et mémoires de la soc.d'archéo. de la prov. De Constantine.6e vol de la 2e série , Constantine , 1874.

2. المراجع:

1. أوعشت بكير، وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا – تاريخيا – اجتماعيا، الجزائر، المطبعة العربية، 1991م.
2. برنيان أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.
3. بعمارة عيسى، اتفاقيات المجالس العامة لمزاب 1405م-1928م، دار الشهاب، باتنة، 1987م.
4. بن أبي زيان عبد الحميد، دخول الأتراك العثمانيين للجزائر، الجزائر، د.ن.
5. بن بحمان ابراهيم، رحلة المصعبي، تح، تع: يحي بن بهون حاج امحمد، وزارة الثقافة، الجزائر العاصمة، 2007.
6. بن حموش أحمد مصطفى، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني، دار البحوث الإسلامية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000.
7. بن حموش مصطفى أحمد وبلقاضي بدر الدين، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط

ألبير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

8. جون بول وولف، الجزائر وأوربا، ترجمة: سعد الله أبو القاسم، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

9. الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية، الجزائر،1955، ج3.

10. الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط4، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2017.

11. حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، الجزائر، دار الحكمة، د.ط، ج2، 2007م.

12. خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تق، تع، تح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

13. دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، القاهرة، ط1، 1965م، ج1.

14. صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار الهومة، الجزائر، 2005.

15. القرادي إبراهيم، الحاج ايوب إبراهيم آثاره الفكرية، جمعية النهضة، غرداية الجزائر، 2009م.

16. لعساكر إسماعيل بن محمد، بريان تاريخ وحضارة دراسة تاريخية حضارية سياسية اقتصادية اجتماعية دينية ثقافية، 2018.

17. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.

18. المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المكتبة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

19. معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، مراجعة الحاج سليمان بن الحاج ابراهيم بابزيز، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط3، السيب، سلطنة عمان، 1429هـ/2008م.

20. الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ج3، د.ت.

21. ناصر بالحاج، النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة، جمعية التراث، القرارة

غرداية، 2018.

22.النوري حمو بن محمد، دور المزابيين قديما وحديثا في تاريخ الجزائر، د.ط، د.ت، ج1.

3. الرسائل والأطروحات الجامعية:

1. بوراس يحي، العمارة الدفاعية في منطقة واد مزاب (نموذج قصر بن يزقن)، من القرن 10-16هـ/13-19م دراسة وصفية تحليلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2002.
2. بوسعدة محمد، دور مزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1930-1962م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، قسم التاريخ جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2020.
3. بوكرموش عمر، التفاعل السياسي والاقتصادي لطائفة بني مزاب في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2016.
4. حاج امحمد يحي بن بهون، وجد وأسى ديوان الشيخ ابراهيم بن بحمان، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2005.
5. غطاس عائشة، الحرف والحرفيون، 1700-1830 مقاربة اجتماعية واقتصادية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر،2001.
6. قشي فاطمة الزهراء، المدينة والمجتمع من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، 1998م.
7. ليندة علال، دور الحركة التجارية في ازدهار قصور إقليم توات ووادي مزاب وتطورها خلال العصور الحديثة (10هـ إلى 13هـ/16م إلى 19م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، م.و.م.ت للهندسة المعمارية والعمران، 2011-2012.
8. وقاد محمد، جماعة بني مزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني 1700-1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2010.

4. المقالات:

1. الحاج امحمد يحي بن بهون، فن العمارة الإسلامية بوادي مزاب جنوب الجزائر، مجلة الحياة،

العدد 19، جمعية التراث، 2015، ص90.

2. بحاز ابراهيم، المزابيون المعتزلة –قراءة جديدة لنصوص قديمة–، مجلة الحياة، ع1، جمعية التراث، القرارة غرداية، 1998م.
3. بحاز ابراهيم، رسائل مخطوطة من المزابيين إلى الداي بابا حسن، المجلة التاريخية المغاربية، تونس، 1998.
4. بن عمر حاج موسى، المزابيون في العهد العثماني (1510-1830م)، مجلة الحياة، ع12، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 2008.
5. ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، سلسلة قصور غرداية قصر غرداية "تغردايت"، وزارة الثقافة، الجزائر، 1435هـ/2014م.
6. بوزرينة سعيد، حكم دايات الجزائر حسن باشا أنموذجا (1205- 1212هـ/ 1791-1798م) سياسته ومنجزاته المعمارية، المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة أسيوط ، العدد 72، مصر، أكتوبر 2019م.
7. ناصر بالحاج، علاقة إباضية وادي مزاب بالعثمانيين في إيالة الجزائر من خلال رسائل أبي مهدي عيسى إلى يحي أغا، المجلة التاريخية العربية، تونس، ع47، تشرين الاول 1435هـ/أكتوبر 2013م.
8. ناصر بالحاج، مجلس الشيخ عمي سعيد: النشأة والتطور، مجلة المنهاج، ع5، شوال 1443هـ/ ماي 2022م.
9. ناصر بالحاج، الاتفاقات كمصدر لدراسة تاريخ مزاب العهد الحديث، المنهاج، جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، العدد الأول، غرداية الجزائر، محرم 1433هـ/ نوفمبر 2011م
10. هلايلي حنيفي ومتاجر صورية، بنو مزاب والأنشطة التجارية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء مخطوط قانون الأسواق، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ع1، جانفي 2020م.

5. المعاجم:

باللغة العربية:

1. مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر (قسم المغرب الإسلامي)، جمعية التراث –غرداية–، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط2، 2000م/1421هـ.

2. مجموعة مؤلفين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ج1، ط2، 1432هـ/2011م.

باللغة الأجنبية:

1. Dictionnaire des communes, villages, de l'Algérie, villes, caravansérails, hameaux, douars, postes militaires, bordjs, oasis, mines, carrières, sources thermales et minérales, Alger, Pierre Fontana Imprimeur-éditeur, 1903.

6. الاستجوابات الشخصية:

باباوموسى مامة خديجة بنت صالح الجدة الكريمة، وهي ابنة أخ الشيخ حمو بن باحمد باباوموسى –شيخ وادي مزاب–، وقدأخذت عنه وعن عمها الشيخ محمد بن باحمد –شيخ غرداية– الكثير، اللقاء بمنزلها، غرداية يوم 2020/09/07م.

7. المواقع الإلكترونية:

المكتبة السعيدية، مكتبة إلكترونية، تاريخ الإطلاع: 2022/08/20، الساعة: 19:30، رابط المكتبة: https://alsaidia.com/node/92

فهرس الموضوعات:

المقدمة 9

الفصل الأول: التنظيم السياسي والاجتماعي في مزاب 8

المبحث الأول: مزاب بشريا وجغرافيا 9

أولا: مزاب بشريا 9

ثانيا: مزاب جغرافيا 12

المبحث الثاني: الأنظمة والأعراف والسلطة المسيرة لها.....16

أولا: السلطة المسيرة للأنظمة في واد مزاب 16

ثانيا: نماذج من أنظمة وأعراف المزابيين 19

المبحث الثالث: المزابيون في الشمال وعلاقاتهم بالسلطة العثمانية.....23

أولا: أسباب هجرة بني مزاب إلى مدينة الجزائر 24

ثانيا: المزابيون في تونس.....25

ثالثا: المزابيون وآل بربروس في الجزائر 26

رابعا: بنو مزاب وحملة الإمبراطور الإسباني (شارلكان).....27

خامسا: تخليص حسين باشا من تمرد الكراغلة.....28

الفصل الثاني: العلاقات السياسية بين مزاب والسلطة العثمانية 31

المبحث الأول: مجلس واد مزاب الأعلى والسلطة العثمانية.....32

أولا: الاتفاقات كمصدر لدراسة تاريخ مزاب.....32

ثانيا: اتفاقات المجلس الأعلى مع العثمانيين 34
المبحث الثاني: حملة يحي آغا إلى واد مزاب 40
أولا 42
ثانيا 42
ثالثا 43
المبحث الثالث: قضية صالح باي قسنطينة 46
أولا: بداية الخلاف بين صالح باي وبني مزاب في قسنطينة 47
ثانيا: طلب صالح باي ضم بلاد مزاب إلى سلطته 48
ثالثا: رد فعل المجلس الأعلى لواد مزاب حول قضية صالح باي 49
رابعا: نهاية القضية ومقتل صالح باي 51
الفصل الثالث: العلاقات الاقتصادية والتجارية بين مزاب والسلطة العثمانية.....54
المبحث الأول: الدور الاقتصادي للمزابيين بمدينة الجزائر 55
أولا: النشاط الاقتصادي لبني مزاب في مدينة الجزائر 56
ثانيا: الامتيازات الاقتصادية لبني مزاب 67
ثالثا: اسهاماتهم الاقتصادية 68
المبحث الثاني: تجارة القوافل والعملة 71
أولا: تجارة القوافل في واد مزاب.....71
ثانيا: المداولات النقدية.....75
ثالثا: السلع المتداولة 79

الخاتمة 85

الملاحق..... 89

المصادر والمراجع 97

فهرس الموضوعات 105

ملخص المذكرة..... 108

ملخص المذكرة

نحاول في دراستنا هذه تسليط الضوء على العلاقة السياسية والاقتصادية التي ربطت منطقة مزاب بالدول العثمانية، من خلال الوثائق المتوفرة، وقد تواجد المزابيون في مدن التل (مدينة الجزائر بشكل أكبر) قبل دخولها تحت لواء السلطة العثمانية، وتميزوا فيها بنشاطهم الاقتصادي، كما كانت لهم علاقات طيبة مع العثمانيين من خلال مشاركاتهم وتضحياتهم العسكرية النوعية في تونس ثم في مدينة الجزائر في عدة مواقف، والتي ذكرتها المصادر الأجنبية والعربية والمحلية، وبعد إرساء الدولة العثمانية سلطتها في مدن التل، سعت إلى التوغل في المناطق الداخلية، حيث منحت أغلب القبائل ولاءها للإيالة، وهو حال منطقة مزاب، التي تقبلت ذلك مع ضمان استقلالها الذاتي وتصرفها في شؤونها الداخلية، وقد شهدت المراسلات التي أرسلها "المجلس الأعلى لواد مزاب" –السلطة العليا في المنطقة– إلى سلطة الإيالة بذلك.

ومن جهة أخرى فقد كان للمزابيين دور كبير في إنعاش اقتصاد البلد بتجارتهم الداخلية في المدن، والخارجية عن طريق القوافل، ويعود الفضل لهم –حسب المصادر– في إدخال سلع جديدة وثمينة إلى أسواق مدينة الجزائر وقسنطينة وغيرها من مختلف حواضر البلد وخارجه.

Summary

In our study, we try, through the available documents, to shed light on the political and economic relationship that linked the M'zab region to the Ottoman regence.

The Mozabites were existing in the northern cities (especially in Algiers), before entering under the banner of the Ottoman authority, and they were characterized by their economic activity, and they also had good relation with the Ottomans thanks to their participation and qualitative military sacrifices in Tunisia and then in the city of Algiers in several occasions, which are mentioned by foreign, Arab and local bibliography.

After the Ottoman Empire established its authority in the northern cities, it sought to penetrate into the interior regions, where most of the tribes gave their loyalty to the Eyalet; It is the case of the M'zab region, which accepted to do so but while maintaining its autonomy and the conduct of its internal affairs; And the correspondences sent by "the Supreme Council of the M'zab Valley "- the supreme authority in the region - to the Eyalet authority prove this.

On the other hand, the Mozabites had a major role in reviving the country’s economy with their internal trade in the cities, and external through convoys, and thanks to them -according to sources- new and valuable goods were introduced to the markets of Algiers, Constantine and other various cities of the country and abroad.